

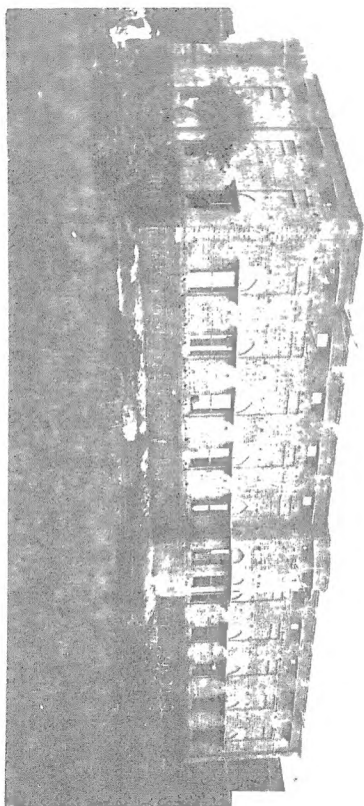
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد السبعون - شوال سنة ١٤٩٠ هـ - ٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٠ م



مسجد جامعة النيل بشارع مدينته اعظم كـ « الهند



اهداءات ٢٠٠١

الدكتور / القطب محمد طلبة

القاهرة



مسجد الأشرفية بجبل الأشرفية
بعمان . بناه أحد المسلمين الأغنياء
ويعتبر هذا المسجد من
أحدث المساجد في الأردن وأجملها
موقعا ، وأعظمها روعة وفنا .

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السبعون

شوال سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ نوفمبر (تشرين ثانی) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

بالتكویت فی غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

الثن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار ورابع
المغرب	درهم ورابع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٢٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلها بالاسترليني)

أما الأفراد فيشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والإرشاد
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ - الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث الشهر

أعيادنا الإسلامية

تتنوع أعياد الأمم والشعوب من عهد الى عهد ، وتتغير أسماؤها ، وتعديل مواعييدها من مناسبة الى مناسبة ، وتكثر وتقل ، ويزاد فيها ، وينقص منها مسابرة للأحداث ، أو مجارة للأهواء ، وتتأثر مراسيمها وتضاليدها بتطور الزمن وتغير الأفكار .. أما أعيادنا الإسلامية الأصلية فهي ثابتة مذكاة لا تتغير أسماؤها ، ولا تعدل مواعيتها ، لا تطور شعائرها ، ولا يزداد فيها وينقص منها لأنها مرتبطة بمبادئ العبادات الإلهية . أصيلة أصالتها ، ثابتة ثباتها ، مشروعة شرعيتها ، وهذا هو الفرق بين ما صنع الله ، وبين ما صنع البشر .

تقوم دولة من الدول في مكان ما من الأرض ، فتكون لها أعيادها ، وتسقط هذه الدولة وتقوم مقامها أخرى ، فتلفى من الأعياد ما تشاء وتثبت ما تشاء ، وتزيد ما تشاء ، ويسود نظام من النظم جماعة من الجماعات ، فتكون له أعياده ، ويسقط هذا النظام ، ويحل محله نظام آخر يخالفه أو يناقضه ، فتلفى أعياد سابقة ، ويقيم أعيادا جديدة ، ويتولى عظيم من العظماء ، فتكون ولايته عيداً ، وتنتهي هذه الولاية بموته أو بتهنئته ، ويتولى سواه فيتخذ لنفسه عيد آخر يفرضه على الحكوميين .

وتختلف مراسم الاحتفال بالأعياد من شعب لآخر ومن عصر لعصر ، فأتا مواكب الخيل المطهية ، وحينما عرض للدبابات ومظاهر القوة ، وحينما آخر إطلاق المدافع الفارغة والسهام النارية .

أما أعيادنا الإسلامية الأصلية ، فلا صلة لها بعظيم من العظماء أيا كان مبلغه من العظمة لا بولادته ، ولا بولايته ولا بموته ، ولا ارتباط لها بقيام نظام من النظم البشرية المتغيرة المتضاربة ، ولا بتخليد موقعة من الوقائع الحاسمة

ولا تسجيل فتح من الفتوحات ، وشعائر اعيادنا هي هي لم يطرأ عليها تغيير ولا تحوير .. نشيد علوى سماوى : الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر كبيرا . لا اله الا الله . والله اكبر الله اكبر والله الحمد .. وصلاة جامعة محدودة المعالم . ثابتة الاقوال والأفعال بعد ارتفاع الشمس ، وخطبتان مناسبتان بعدهما .

اعيادنا الاسلامية الاصلية : عيد الفطر وعيد الاضحى ، لم يزد عليهما ، ولم ينقص منهما ، ولم تتغير معالمهما وشعائرهما منذ الف وسبعمائة وتسعين سنة حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فوجد الأنصار يومنون بلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : قد أبدلكما الله بهما خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر .

عيدان اثنان . لا يزيدان ، ولا ينقصان . الأمة الاسلامية كلها . ايا كان مقامها فى ارض الله ، وايا كان وجودها فى ايام الله .. عيد الفطر ، وهو اول يوم بعد رمضان يفرح فيه المسلم الصائم فرحتين : فرحة القيام بواجب الطاعة لله ، وفرحة الفوز بجائزة الله له على هذه الطاعة ، وهى جائزة فوق كل تهمين وتقدير ، يحدثنا عنها سعد بن اوس الانصارى عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على ابواب الطرق ، فنادوا : اغدوا معشر المسلمين الى رب كريم . يمين بالخير ، ثم يشيب عليه الجزيل ، لقد امرتم بقيام الليل فقمتم ، وامرتم بصيام النهار فصمتتم ، واطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : الا ان ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا رائدين الى رحلكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

اما العيد الثانى فهو عيد الاضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الذى سماه الله يوم الحج الاكبر ، وفيه تفرح جموع الحجاج الى بيت الله باداء الركن الخامس من اركان الاسلام ، ويفرح فيه المسلمون قاطبة بتمام نعمة الله عليهم واكمال دينهم : « اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » ..



واعيادنا مع انها تتسم بجمال الروحانية وجلال التقوى ، وتبدأ شعائرها بالخروج الى المصلى والوقوف صفوفا بين يدي الله تبارك وتعالى فى مظاهرة كبرى تشهدها الصبيان والنساء . قالت ام عطية : امرنا ان نخرج العواتق (البنات) والحيفى فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيفى المصلى . مع هذه الروحانية العالية التى تتميز بها اعيادنا تتساق مع الفطرة الانسانية الزاكية ، وتستجيب للطبيعة البشرية ، ولكن فى اتران واعتدال ،

فهى بجانب الشفافية والتورانية والصفاء الذى يسود المسلمين فى كل لحظة من لحظاتها — تصفى على القلوب الأنس وعلى النفوس البهجة وعلى الأجسام الراحة ، ولهذا كان من شعائر الإسلام فيها التطهر والترين والتطيب ولبس أجمل الثياب ، قال الحسن السبط : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين ان نلبس أجود ما نجد ، وان نتطيب بأجود ما نجد .

واللعب المباح ، واللهو البرىء والفناء الحسن العفيف مما رخص فيه فى يوم العيد رياضة للبدن واستجابة لتطلعات القلوب والنفوس .. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه الامام احمد والشيخان : ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه ، فطالط لى منكبيه ، فجعلت انظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعتم ، ثم انصرفت . ورووا عنها ايضا قالت : دخل علينا أبو بكر فى يوم عيد وعندنا جاريتان يذكران يوم بعثت (وهو يوم مشهور من أيام العرب) فقال أبو بكر عباد الله امزور الشيطان . قالها ثلثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا ، وان اليوم عيدنا . وفى رواية عروة أنه قال : تعلم يهود المدينة ان فى ديننا فسحة . انى بعثت بخنيقية سمحة .



أعيادنا الإسلامية اعياد عامة . لا تصطبغ بصبغة فردية ولا محلية ولا اقليمية ولا جنسية ، اعياد للصغير والكبير ، للفرد والاسرة ، للقرية والمدينة الأمة الإسلامية قاطبة ، يشترك فيها اعداد لا حصر لها من المسلمين فى الشرق والغرب من كل لون ولغة ، تشمل الفرحة فيها كل قلب ، وتعم النعمة فيها كل بيت ، وترتسم الابتسامة فيها على كل شفة ، فيها تتقارب القلوب على الود ، وتجتمع النفوس على الألفة وتظهر الصدور من الضغن والحقد ، وتتصافح الأيدى بعد طول انقباض ، ويتناسى الناس ما بينهم من احن وثارات ، وتبرز العواطف الانسانية النبيلة . الناس كلهم رضا والناس كلهم شكر يتلاقون فيقول بعضهم لبعض ما كان يقوله اصحاب رسول الله : تقبل الله منا ومنك ..



أعيادنا اعياد مبرات وخيرات . ينمو فيها وعى الافراد بحق الجماعة عليهم ، وتقوى صلة الفرد بالمحيط الذى يعيش فيه ، ويتعاون مع الناس على الخير والاحسان اليهم ، وكلما نما الوعي بحق الجماعة والاحساس بمشاكل المجتمع كلما عظم الترابط بين افراد المجتمع حتى يكونوا كالبنيان المرصوص

أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء ، وفي ظلال هذا الوعي والاحساس الندية الرحيمة تذوب الفوارق الكبيرة التي يشقى بها الناس ، وتخف حدة المآسى والأرزاء التي تمتلئ بها دنياهم ، فتنبسط الأيدي بالبذل والعطاء ويمسح الفؤاد والتجدة جموع المنكوبين والفقراء ، ويشعر الجار بحاجة جاره كما يشعر بحاجته ، ويتذوق طعم السعادة في ادخال السرور على اولاد صديقه كما يتذوقها في مسرة أبنائه .. ولقد عاش مجتمعنا الاسلامي في ظل هذه المعاني الانسانية الرفيعة فترة من الزمان كان فيها اسعد المجتمعات ، واحاها على بانس ، واعطفها على فقير ، واسرعها لنصرة مظلوم واغاثة مضيع ..

حدث الواقدي وهو من كبار علماء القرن الثاني الهجري فقال : « كان لى صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على الباس والتسدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لما عليهم من الثياب الرثة ، فانظر كيف تعمل لكسوتهم . قال الواقدي : فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر في يدي حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صديقي الهاشمي ، فوجهت اليه الكيس بخته ، ثم أخبرت امرأتي بما فعلته ، فاستحسنته ، ولم تغفني عليه ، فبينما أنا كذلك اذ وافاني صديقي الهاشمي ، ومعه الكيس كهيئته ، فقال لى : انك حين طلبت مني المال لم أكن أملك الا ما بعثت به اليك ، ثم أرسلت الى صديقي الثالث أسأله المواساة ، فوجه الى الكيس الذى بعثت به اليه ، قال الواقدي : فتفاسمنا الالف فيما بيننا ، كل واحد ثلاثمائة ، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونما الخبر الى المأمون ، فدعاني وسألني ، فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .



هذه بعض المعاني التي تعبر عنها اعيادنا الاسلامية ، وهذا نموذج لسلوك المسلمين فيها ، وفهمهم لحقوق الاخوة الاسلامية عليها . نذكر بها في الوقت الذي لا يغيب فيه عن المسلمين مشرقين ومغربين نداءات لجنة الاغاثة العربية لضحايا حوادث الاردن الاخيرة ، ولا انين المشردين المضيعين ، ولا صيحات النافرين المقاتلين من أبناء فلسطين . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

عبدالله العلي

الدعوة إلى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة » .

للمركز : علي هبة النعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

البناء من أساسه وتقويض أركانه
بأساليب الخداع والمكر ، وطرق
اللين والمحاورة البريئة في ظاهرها ،
والمنطوية على حقد دفين وسم قاتل
في نتائجها ، وهيات له الفرصة غفلة
المسلمين ، وتصدع وحدتهم ، وتفرق
كلمتهم ، فصار لكل منهم (ليلي) يغنى
عليها ، وصيودا يلقي إليها شباكه ،
والعدو متربص في حذر يسدد سهامه
ويفرى البغضاء بين الأخوة والاصدقاء
وفي غمرة تلك الليالي السود ، ولج
بالمسلمين الى بيداء مهلك ، وحاد بهم
عن الجادة التي سلكها الغادة من
الآباء ، ودعاة الحق من الاجداد ،
ولكن رحمة الله ولطفه ما كانت
لتفارق المسلمين لا الى رجعة ، وانما
تضيقت لهم العناية رجالا تسلحوا
بالتقوى ، وبالتقوى يلين الحديد ،
وتواصوا بالحق والصبر وبهما يتوصل
الى الهدف مهما طال المسير ، فان
مع العسر يسرا ، ان مع العسر
يسرا .

٢ - راجع تاريخ الدعوة الإسلامية
واستنبئه خبرها ، واستمع اليه
يقص عليك نضال علمائها ، وكناح
عقلانها تلقى في كل مرحلة تاريخية
عملاقا او عبالقة في النهج والعلم

١ - بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء ، وكان
العاقب الذي لا نبي بعده ، وضمن
الله تبارك وتعالى استمرار هداية
القرآن الى يوم القيامة ، وحمل
الدعوة من بعد الرسول رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وساروا
بها مرشدين ومعلمين الى آفاق
الأرض دون أن تصدهم عقبات او
تحول بينهم وبين هدفهم معوقات ،
فاستقر أمرها عبر القرون المتطاولة ،
ولم يخب ضوؤها رغم ما لاقت من
أعاصير هوج ، وحروب ظاهرة حيناً
ولابسة ثوب الصداقة أحياناً ، وقبض
الله لها المدافع بالسنان تارة ، وبالقلم
وقوة المنطق تارات ، وكان آخر العهد
بالتقتال السافر المنظم قبل الحروب
الإسرائيلية ، الحروب الصليبية التي
انتهت بها سجله التاريخ لضراغم
الإسلام ضد ضراوة التنظيم الأوربي
لذلك الحروب ، ولما رأى العدو
الذي لا ينام دون غايته أن السيوف
فلت ، وأن الكتائب اندحرت ، وأن
جموعه المتقاتلة تفرقت وامحت أو
كادت ، ملك للصراع أسلوبا ليس
بالجديد في تاريخ الإنسانية ، ولكنه
طوره وقواه ، ذلك هو محاولة هدم

جديد يرشد الى خبيء يجب ان يكشف عنه النقاب ، ويزاح عن ابداعه التراب ، ويعرض للناس اختراعا وفكرا ، وفنا وعلما ، ومن سار على الدرب وصل .

٣ - بعد ان فتح الله على المسلمين الدنيا ، وظهرت لهم الوان جديدة من الحياة ، غيرت اساليب معيشتهم ، وكادوا ان يقموا في شراكها ، وان تحتويهم حبالها ، ولكن الحراس كانوا يقظة فدخلوا الى مجالس الخلفاء وذكرهم بالله ، وسمع لهم اولوا الامر فلم يوصدوا دونهم الباب ، وطالما بكى العالم واستبكى الخليفة واعوانه ، وكان ذلك في صدق قوله ، وسلامة قلبه ، ولجؤته الى ربه وعزوفه عن دنيا الناس ، وترامى الى سمع المسئول عن الرعية « اتق الله » وتقبلها بقبول حسن وشجع المبلغ وايده ، فسارت الامور كلها على منوال كريم وسلوك مستقيم ، وانتشرت جيوش الحق الى كل صقع وبقعة ، واتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخل الناس في دين الله افواجا .

ولما كانت ازمة القلوب بيد الله ، وكان من سنته في خلقه ان تضعف الهمم مع الترف ، وتتلشى المعازم مع الركون الى الراحة ، وتتصارع الشهوات مع المثل الدافعة الى الخير ، وكان منها ايضا ان يعتور الهرم كل شيء ويلم بكل كائن ، وما الدول عن ذلك ببعيد ، هربت الدولة وكادت ان تذهب ادراج الرياح ، ومع هذا ظل للإسلام دعائمه وجملة رسائله في اشد العصور ظلالا ، تحملوا وطأة العذاب وفي سبيل عقيدتهم استعذبوه ، وكلما هلك منهم سيد داع الى الله قام خلفه يحسبون رسالته ، ولله رجال بما صدهم عن عقيدتهم صاد ، ولا استطاع الحديد والنار ان يضعف من قوتهم ، ولا ان

وقوة القلب وثبات الجنان لا يقتلون في ميدان النقاش والجدل ، والفهم والوصي والعلم والحكمة عن خصوصهم ان لم يزيديا ، فمئذ ظهور الحسن البصري في القرن الاول الهجري الى يومنا هذا (سبعينيات القرن العشرين الميلادي) ما خلا عصر ولا مصر من ذادة عن الحق ، حملوا عبء الدعوة الى الله بكل طريقة واسلوب ، فالمجالس التي عقدت في المساجد في صدر الاسلام ، ورجالها الذين صاغوا هداية الشريعة في اساليب متطورة ، وتصدوا لكل مخالف يدافعونه بطريقته ويواجهون سلاحه بمثله ، قد غصت كتب التراث بأسانئهم ووصف علومهم ، والحديث من مناظراتهم ، ومنازلاتهم ، فقصد جالوا في كل فن وتسبحوا بكل باقر وكونوا غرقا تشارقت سبلها ، واتحدت اهدافها ، فلئن سمعت عن سني ومعتزلي ، وعن حامل فلسفة اليونان ومنطقهم ، وعن مفسر الكتاب وشارح السنة ، فاعلم ان الهدف واحد وهو الذب عن حياض الاسلام ، وان اختلفت الاساليب وتوعدت الطرق - وقد ادى الجميع رسالتهم على اكمل وجه واحسنه ، ولا زالت خطاهم على الدرب نورا وهداية لكل مدلج حائر ، وعونا وقوة لكل ذي بصر وعزم ، ولئن لم يرتبط حديث بقديم لا يثبت ولا يتطور ، ولا يقوى ساعده ولا يستد ، وما وجد شيء نكسارا وصدفة ، وانما هي مراحل يسلم سابقتها **للاحقها ما علم ، فيضع لبنة فوق لبنات حتى يستوى البناء** شامخا ، وبناء اساليب العلوم التي تتخذ وسائل دفاع عن الحقائق لا يمكن ان يجيء اليوم الذي يقال فيه انه انتهى الى حد ، فنكل صباح اشراقة قد تتماثل مع سابقتها مظهرها فهو تماثل لبادي الرأي ، ولكنه مع الغائص على طلاسسم الكون معلم

أشياءهم فقد فتحت ثروة البلد عيون الدنيا عليها ووجد كل طالب للثراء السريع اليها ، وحملت اليها العادات الغربية والتقاليد التي لا عهد لها بها ، ورأى المقيمون من وطنيين ووافدين صراع الأفكار والمعتقدات ، ومحاولة تقليب نور الاسلام ليخلو الجو للعابثين بالقدسات ، وليسطوا على خيرات البلد في هدوء من طريق مشروع أو غير مشروع ، وهذا موقف عصيب ولا شك يحتاج الى سياسة حازمة وحكيمة ولكن بالطرق السلمية الهادئة ، وتقيض الله لها من أنبائها من هيا لهم القبض على زمام الأمور في وعي وادراك وعمق فهم وحسن تأت للأمر ، فقامت للمباداة دور سامقة شاهدة واستقدم لها خيرة العلماء من بلاد المسلمين ، وحفلت بالدروس يؤديها دعاة فاضلون للدين ، مدبرون على الدعوة اليه ، مخلصون لله ، درسوا السقديم ومزجوه بالجديد ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولا يقف أمر دون الكمال اذا قام عليه وتولاه من يحسن التأتى له مع دربة ودراية ، ونشأت في وزارة الأوقاف ادارات لها أجهزتها القوية ، وظهر أثرها في اعداد محكم لوسائل الدعاية للإسلام والتصدى الحازم لكل مارق من حملة مكروبوات الإلحاد والزيغ ، وصدرت مجلة (الوعى الاسلامى) وتقدمت وشقت طريقها بكل ثبات وصارت مجلة العالم الاسلامى الأولى كما تشهد بذلك تقارير وانباء ، ووجد قراء العربية في أيديهم كتيبات تحمل الترياق لسم الإلحاد ، وستكون في المستقبل القريب ملاحق مع الوعى بلغات المسلمين في كل مكان ، واتخذ نشر التراث طريقا واضحا وسار بخطى ثابتة وارتضاه كل من اطلع على ماصدر منه من علماء العالم الاسلامى ، وراوا فيها تسلكه الوزارة

يخضع شوكتهم ، على مر الليالى وكز الأيام ، وحاولوا ونجحوا في انشاء جماعات مترابطة تؤمن بالله فتتأشأ دور العلوم الاسلامية ، وتبنى الجماعات المؤمنة ، وقام في كل قطر اسلامى من يحمل راية الاسلام ، ومن يجرد قلبه ويضع معارفه في خدمة دين الله ، وان اختلفت الاساليب وتنوعت الممالك .

٤ - ولنترك العصور التي مضت كما مضت ، فقد كان لها رجالها وحملة الدعوة فيها الذين من آثارهم ما تركوه مسطورا في تراثهم ، وما نشاهده من ازهر وزيوتونه ، ودار علوم في القارة الهندية ، وكليسة اصول الدين في ايران ، واغذاذ في العلم والمعرفة في العراق والشام ، ودعاة للحق في القارة السوداء ، ولينهم وجوهنا شطر حاضرتنا فماذا نرى ؟ !

يحاول بعض الدارسين الذين يوصفون بالسطحية في تفكيرهم ، والتعمق في تبعيتهم لأذئاب يهوذا ان يقللوا من قيمة جهود الدعاة في عصرنا ، ويتهمهم بالجمود تارة ، وبالضعف أخرى ، وبالقصور تارات ، ولا أدري لماذا ؟ ألينافسوه في ميدان ليس لهم بتافه من القول وضحالة في الفكر ، قد يكون هذا ، وقد يكون لقصر باع وضيق عطن ، أو تحصيل لا يعيونه على غيرهم ظنا منهم أن كل الناس نعماء ، وأن كل من عداهم طغام ، وانى أقول لأولئك وأمثالهم ان الاسلام ليس ملكا لأحد ، وتبعته لا تختص بها طائفة دون أخرى ، ومع هذا غارى أن كثيرا قد ادوا واجبه ولا يزالون يؤدونه ، ولا ضرب مثلا بما يجرى في تلك الدولة التي نعيش على أرضها ولنتدارس ما يجرى فيها ، ولننعت كل عامل حقه ولا نبخس الناس

منهجا واضحا يقاوم كل عوامل الهدم
ويدفعها ويقضى على آثارها .

بقيت همسة نسرهما في أذن أولئك
الذين لا يهمهم إلا الحديث عن
الخطباء ؟ خطباء المنابر ، ويحاولون
النيل بمختلف الهزات والغمزات من
قدرتهم وكفاءتهم ، والواقع أن هذه
الفئة في الكويت وفي طليعتهم علماء
الأزهر الشريف المخلصون لدينهم
تقوم بأفضل دعاية للإسلام الحنيف ،
وجهاز الدعوة والمساجد في هذا البلد
يعنى به ويشرف عليه كبار رجال
الوزارة الذين ثقوا العلوم المالية في
الإسلام واللغة لغة العرب ، ويذلون
كل جهد في سبيل الوصول إلى أعلى
المستويات ، وعلى هؤلاء النافرين
الناشرين مها حملوا من القاب وزاولوا
من تعليم أو تجهيل — أن يوضحوا —
أهدافهم حين يقولون أن من العلماء
من يجادل على حساب دينه ، وحين
يصيح أحدهم أن الموعظ مقصرون ،
وحين يريد أن يشير إلى أن بعض
الداعين إلى الله مرتزقة — ولنكن
صراحا — مع هؤلاء أن كانوا بعيدين
عن الديار ووافدين إليها ، ماذا يريدون
من صيحاتهم . أن كانوا يريدون
الإصلاح . فالطريق أمامهم مفتوحة ،
فليدلوا بدلوهم وليقدموا ما عندهم .

إن أهل البلد يعلمون لأنهم عقاء ،
وليست هذه مجاملة ، وإنما هي
نتيجة خبرة طويلة ، يعلمون أن العلماء
الذين عندهم هم أمثل الناس وأحق
الناس بالرعاية ، ولهذا أكرمهم بها
لم يحلم به أولئك الحاسدون ، وأن
هداؤا وحافظوا على الصلات الطيبة
فنحن معهم وأن لا فلنا جولة سوف لا
نغلب فيها حفاظا على تقاليد بلد عشنا
فيه زمانا طويلا وحفظنا وحفظناه
وأكرمنا ، ونحن نسأل الله أن يعيننا
على رد جميله كما يرضيه سبحانه .

وأخيرا : أسمع في كل إذاعة ومن
كل قطر إسلامي دعاة مفوهين وعلماء
فاتحين ومحدثين مبدعين ، ويشهد
بذلك العالم كله ، ولجسودهم آثار
واضحة في مقاومة الانحراف
والهداية .

ثم ماذا — ثم هاهي وزارة التربية
في الكويت تنشئ إدارة دينية وتفتيشا
للدين خاصا وتزوده برجال لا يرقى
الشك إلى أخلاصهم لربهم وعملهم ،
وما أمر الجامعة عنا ببعيد ففيها
تدرس ثقافة إسلامية وعقيدة إسلامية
ولديها أساتذة في الشريعة ، لا يألون
جهدا في التوجيه إلى الخير والهداية .

وفي الكويت جماعات لها وزنها
الديني ولها عملها المنتج وعلى قهتها
في الحكم رجال يعرفون وأجباتهم
نحو الله ، وفي أعيانها أعيان الإسلام
ولولا ذلك لجرف التيار كل شيء وأتى
على كل شيء .

وفي مصر ماذا فعل المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية فكم وزع من كتب
وأرسل من بعوث وأنشأ محطة
القرآن ، وسجل القرآن وفي
السعودية مثل ذلك ، وفي العراق
والشام ، ولولا هذا الدفاع القوي
المنظم الآن لوجت الإسلام ذكرى أيها
المتجنى المتع بالعبث والحرص على
الإسلام .

إن اللسان العربي هو أقدر الأسلحة
على تبليغ رسالة الإسلام ومن وراء
هذا اللسان قلب مؤمن وأدراك واع
وفهم صحيح ، وبذل وتضحية ، فعلى
المتجنى على الدعاة أن يتقوا الله في
دينهم وكتابهم وأخيرا وليس آخرا
أفكر هؤلاء بأن الهدم أسرع من البناء
وإن كل إنسان قادر على الهدم ،
وليس كل إنسان قادرا على البناء .

الحج

في

مجالس
الجماعة
الكبرى

للدكتور: محمد البهي

إذا كانت صلاة الجماعة لها دورها في الترابط في الحياة اليومية للمؤمنين في نطاق السكان فيها يحيط بالمسجد ، وإذا كانت صلاة الجمعة لها دورها كذلك في الترابط وتقوية الشعور بالآخاء بين المؤمنين في دائرة أوسع وعلى فترة تتجاوز اليوم إلى الأسبوع . . فإن حج بيت الله الحرام هو العبادة السنوية التي تجمع بين المسلمين ممن يستطيعون أداءه في مشارق الأرض ومغاربها ، في صفاء نفسي وفي مساواة تامة لا يتميز فيها غني عن فقير ، ولا صاحب جاه عن عديم الجاه .

١ - الدخول في علاقة إنسانية خالصة :

ووظيفة العبادة في الإسلام إذا كان من شأنها أن تخلق في نفوس المؤمنين بالله روح « المساواة في الاعتبار البشري » وروح « المساواة أيضا أمام الله » فإن الحج بوجه خاص يؤكد هذه المساواة منذ اللحظة الأولى في مباشرة أدائه . فالأحرام — وهو أول شعيرة من شعائره — إعلان من المحرم أمام الله

وامام نفسه بتحريم كل ما يحول دون المساواة فى الاعتبار البشرى ، أو يحول دون اخلاص النفس لله وحده ، وصفائها فى العلاقات بين المؤمنين .

فالمحرم باحرامه يعلن تحريم لبس المخطط على نفسه ، كما يعلن العودة الى « البساطة » فى الثياب ، وترك الزينة عن طريق شحعر الرأس أو طيب البدن والثياب . لأن المخطط قد يختلف ويتنوع فى مظهره . وعن طريق اختلافه وتنوعه فى المظهر يخرج الأمر بين الحجاج قليلا أو كثيرا عن مستوى المساواة المطلوب فيها بينهم . وبذلك يتميز بعضهم عن بعض فى الصورة المحسوسة . ولأن أيضا تزيين الشعر بقصه أو تسويته ، ووضع الطيب على الملابس والبدن من شأن أى منهما كذلك أن يحدث أثرا مميزا بين الحجاج فى المظهر ، مما يقلل من تأكيد « المساواة » ، التى تستهدفها هذه العبادة فى لقاء المسلمين فى يومهم العظيم . فهى تستهدف « التجرد » عند أداء شعائرها مما يترك أثرا فى النفوس : من أن هذا غنى أو صاحب جاه ، وذاك فقير أو عديم الجاه .

وعن هذا « التجرد » فى الاحرام لا تشتغل نفوس الحجاج بشىء سوى الله ، وسوى ما بينهم من علاقات الأخوة فى الايمان بالله ، وبما يتطلبه هذا الايمان فى سبيل بقائهم وقوتهم .

وفى الوقت الذى يعلن فيه المحرم تجرده من المخطط والزينة يعلن فيه أيضا بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا ، وعما يسيىء الى الآخرين معه . . يعلن بعده عن المرأة ، وبعدة عن كل ما يؤدى الى الانحراف والخروج عن الصراط السوى ، وبعدة عن لغو القول ومضوله ، والخصومة واللجاجة فى المناقشة . وفى الوقت نفسه يحزم امره على أن يكون سلوكه ، كموقفه ، هو سلوك الخير المذهب وموقف الممثل الى الله ولهدايته . وفى هذا تقول الآية الكريمة :

« الحج أشهر معلومات »

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » (١) .

ومع ذلك فليس من المحظور على « المحرم » أن يباشر السعى لتحصيل الرزق أثناء أدائه عبادة الحج . لأن سعيه لذلك لا يجعل منه ماديًا منحرفًا ، ولا ينزل به الى مجال يناقض هدف احرامه فى مباشرة هذه العبادة : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (٢) . والسعى من أجل الرزق لا يخل بعبادة الحج ، كما لم يخل باداء الجمعة الانتشارى فى الأرض بعد أدائها لا بتغاء فضل الله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٣) .

وهذا وذاك يدلان على أن العبادة لله وحده وإن كانت هى الغاية من خلقه ، فيها تذكره الآية الكريمة : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٤) . . فالمعمل من أجل الرزق والسعى ابتغاء وجه الله لا يخرج عن غاية الانسان من خلقه ، وهى العبادة . فالانسان فى عبادته يتجه الى الله ، وهو فى سعيه ابتغاء فضل الله يتجه اليه كذلك . . هو طالب عونته جل شأنه : أن فى أداء الصلاة ، وأن فى أداء السعى من أجل الرزق . . وهو مقر بربوبيته فى مباشرة شعائره الحج وفى ابتغاء فضل الله . . وهو أن سعى وتقوت من رزق الله فلكي

ينهض بأداء العبادة لله ، وإن نهض بأداء العبادة لله فلكي يستعين به على الهداية الى الصراط المستقيم ، ومن الصراط المستقيم تجنب ارتكاب المنكرات من قتل وسرقة واستباحة اكل مال اليتيم والضعيف بالباطل في سبيل القوت والمعيشة ، والاتجاه الى الله والتوكل عليه وحده في سعيه الخاص وعمله لتحصيل رزق الله .

٢ — ارتباط البشرية ببعضها ببعض :

وإذا كانت شعيرة « الاحرام » — أولى شعائر الحج في أداء عبادته — تستهدف « المساواة » بين حجاج بيت الله والترابط بين المؤمنين بالله على أساس من الصفاء النفسى وعدم الاحساس بفروق التميز في الاعتبار البشرى . . فان شعيرة أخرى من شعائره ، وهى شعيرة الطواف بالكعبة تعيد الى الترابط بين البشرية كلها في أجيالها العديدة منذ ابراهيم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ، قوته واعتباره . كما أن تقبيل الحجر الأسود داخل الكعبة يجسد المحبة لله .

فقد كانت الكعبة أول بيت وضع للناس على عهد ابراهيم ، وكان الطواف حولها شعيرة مستمرة من شعائر الحج الى هذا البيت الحرام . واستمرار الطواف كشعيرة للحج ينبىء عما تتوخاه هذه الشعيرة من الاسهام في تذكير المؤمنين بالله من الصلة القوية التي تربط أجيالهم . وهى صلة الايمان بالله في مواجهة الاحاد على الاخص . وهذه صلة تاريخية تضيفها عبادة الحج الى صلة الترابط بين المؤمنين بالله عن طريق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأداء العبادة ذاتها . يقص القرآن ما وجهه الى الرسول في قول الله تعالى : « أنها أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها وله كل شيء » ، وأمرت أن أكون من المسلمين .

« وأن أتلا القرآن » فمن اهتدى فانها يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل أنها أنا من المذنبين » (٥) . وما أمر به رسوله الكريم هنا هو ما استجاب الله اليه من ابراهيم — عليهما الصلاة والسلام — عندهما دعاه بقوله :

« وأذ قال ابراهيم ، رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام .

« رب ! : انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعني فإنه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى (زوجه هاجر ، وولده اسماعيل) بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » (٦) .

... فقد دعا ابراهيم ربه :

أ — في أن يمكنه من أن تكون عبادته لله وحده ، ويجنبه بذلك الشرك ، وعبادة الأصنام ، والوقوع تحت تأثير الوثنية المادية : « واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » . وذلك لصالح البشرية وأخراجها من الضلال .

ب — وأن يجعل هذا البلد — وهو مكة — بلداً آمناً : « رب ! اجعل هذا البلد آمناً » ليكون مثابة للناس وأمناً .

جـ - وإن يجعل منه مكانا يتجه اليه الناس بعبادة الحج حتى يكون مكانا صالحا للسكنى ، وبذلك تستمر فيه عبادة الله وحده فى البيت العتيق ، أول بيت وضع لله تعالى : « ربنا : انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . فحجاج بيت الله الحرام تهوى أفئدتهم اليه فيؤمنونه ويتغنون فضلا من ربهم ورضوانا .

.. ثم يتجه القرآن الى المؤمنين لاقترار فريضة الحج على من استطاع اليه فنيا يقول الله جل شأنه :

« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .
 « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .
 « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غفى عن العالمين » (٧) .

.. فنوق أن الكعبة أول بيت لله وضع للناس منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وأن الحج اليه فريضة على من استطاع اليه سبيلا .. فان من يدخله له حق الايمان وحق الحياة على الله سبحانه وتعالى .
 وبذلك - كما يعطى الطواف حول الكعبة معنى الترابط التاريخى للبشرية فى ايمانها واستقامتها - يعطى الاحساس بالايمان من الخوف والتتبع فى رحاب الله وبيته العتيق . فالكعبة تجسم هذا الاحساس بالايمان كما تجسم الذكرى التاريخية للبشرية : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما (أى سندا) للناس » (٨) . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » (٩) .

٣ - التعبير عن المثابرة والصبر :

وشعيرة ثالثة من شعائر الحج تصد بها كذلك تأكيد الروابط بين المؤمنين ، ولكن من جهة التعبير عن مثابرتهم وصبرهم ، وعن خفة حركتهم وسرعتها فى الاستجابة الى ما يطلبه الايمان بالله منهم من معاونه ومؤازرة فى وقت الشدة ، أو من دفع اعتداء عدو عليهم وقت عدوانه . وهى شعيرة السعى بين الصفا والمروة . فتحديد المطلوب فى السعى فى الطريق الواقع بين هذين الجبلين : الصفا ، والمروة ، بأنه سعى ينم عن النشاط وخفة الحركة وأبعاد البطء والتراخى فيه وأنه سعى متكرر .. ليرشد المؤمنين فى أداء عبادة الحج الى أن بعض ضرورات الحياة قد تتطلب من المؤمنين زيادة المثابرة والصبر ، والمبادرة وسرعة الاستجابة ؟ على نمط ما يلاحظ فى أداء شعيرة السعى بين الصفا والمروة ، وتكون سرعة الاستجابة عندئذ عبادة وقربى الى الله كذلك ، وكذلك المثابرة والصبر على تكرار السعى وزيادة مراته .

وفيما يطلبه الآية فى أداء هذه الشعيرة ، فى قول الله تعالى :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (١٠) .. من المتطوع ، بالزيادة فى أداء شعيرة السعى ، وفيما تعتبره من أن الزيادة فى أدائها خير ، هو لتقرير هذا النموذج وفى سرعة الحركة فى نفوس حجاج بيت الله ، فى الصبر عند الاستجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين به .

٤ - فى اللقاء العام والاتجاه الى الله وحده :

وهكذا اذا انتقلنا من هذه الشعائر الثلاث التى تستهدف « روح الجماعة الكبرى » فى أداء عبادة الحج الى الشعيرة الرئيسية فيه ، وهى : الوقوف بعرفة وجدنا : أن طريق أداء هذه الشعيرة من « تجمع » جميع حجاج بيت الله فى يوم معين هو يوم التاسع من ذى الحجة ، وعلى قمة جبل معين هو عرفات ، وتوجههم الى الله سبحانه فى دعاء واحد : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. وجدنا أن هذه الصورة فى أداء هذه الشعيرة تركز روح الجماعة الكبرى ازكاء ماديا ومعنويا : تتلاقص أجسامهم الغفيرة فى صعيد واحد ، وترتفع أصواتهم من على قمة جبل واحد ، تردد دعاء واحدا وتضرعا واحدا الى الله المعبود الواحد . تبلا الكثرة العددية نفوسهم فخرا بقوتهم ، وتتجاوب فيها أصداء الايمان بالمعبود الذى وعد المؤمنين به وحده بالنصر والظفر على الأعداء الأول للإسلام أصحاب الشرك والمادية الإلحادية ، وطهر منهم بيت الله العتيق الى الأبد . ينسون الدنيا ومتعها ، وينسون وجودهم الشخصى ، ولا يذكرون الا الله الواحد .

والذهاب الى « منى » والمبيت بها ليلة التاسع من ذى الحجة ، تهييدا للوقوف بعرفة ، قيل : أنه لتذكر اللقاء آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة . والوقوف بجبل الرحمة - كما يسمى - لا يقوى فحسب الشغور بالقوة والعزة والترابط بين المؤمنين برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يذكرهم فقط بالمؤمنين السابقين منذ ابراهيم عليه السلام وبرسالته فى محاربة الشرك والوثنية المادية . وانما يذكرهم كذلك باللقاء آدم وحواء ، بعد خروجهما من الجنة .. يذكرهم اذن باب البشرية ، كما يذكرهم بأولى الرسالات السماوية ، بجانب تعزيز روابط الأخوة الايمانية بينهم .

وهكذا : شعائر الحج اذا ارتبطت بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة المعينة تجدد ذكريات خاصة من شأنها أن تطهر النفوس وتزكياها ، وتقوى الصلوات بين بعضها بعضا . والأمكنة اذن لا تقصد لذاتها ، بقدر ما يتصل بها : من ذكريات . فهى رموز ، أو تعبير ، أو تجسيد لهذه الذكريات . وهى لا تقدس لأنها أمكنة . وانما يقدس ما توحىه من ذكريات خالدة للإنسانية كلها .

٥ - التعبير عن الوقوف فى اصرار فى وجه الباطل :

وشعيرة رمى الجمار نيط بها الوقوف فى ايمان وثبات فى وجه الباطل . والجمار ثلاث فى الطريق من منى الى مكة . وأولها جرة العتبة ترمى فى يوم النحر . ولاشك أن يكون للعلم الناشئ عن الوقوف بعرفة وأداء شعيرته أثره فى الثبات على الحق ومؤازرته ومناوأة الباطل ومطاردته . ومن هنا كان رمى الجمار تعبيراً محسوساً وواضحاً عن مطاردة الباطل والإصرار على الوقوف فى وجهه . فترار الرمي ، وعلى أيام متفرقة ، يعطى التعبير عن مدى مناوأة الشر والباطل مناوأة أكيدة ، لا هوادة فيها .

وكان الحاج برميه الجمار الثلاث يعطى العهد على عدم تراخيه فيها بعد فى انكار المنكر ، وفى دفع الباطل ، وفى الوقوف بجانب الحق . فهو الآن

شهد من شعائر الحج ومناسكه ما جعله يحمل « روح الجماعة الكبرى » . .
 روح الجماعة المؤمنة منذ ابراهيم الى محمد عليهما السلام وهى تلك الروح التى
 تساند الحق وحده ، وتعبد الله وحده ، وتدفع فى عنف وثنية المادية الالحادية
 والشرك بالله تعالى ، باعتبار انه مصدر اضلال كثير من الناس : « واجنبنى
 وبني ان نعبد الأصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس » .
 والأصنام من الناس يدل تقديسها على المهانة والمذلة لمن يقديسها . وما ينشأ
 عن الجهل ضلال . وما ينشأ عن المهانة والمذلة ضلال أنكى ، وهو ضلال
 الضعف والتفائق والاحساس بالصغار والحقارة .

٦ — فى التضامن والإخاء :

وعن روح الجماعة الكبرى التى يحملها كل حاج — او يجب ان يحملها —
 يقوى فى نفس الحاج باعث التضحية فى سبيل الإخاء والتضامن . ومن هنا
 كان « نحر الهدى » عقب رمى الجمار ، وإشراك الفقراء فى طعام ما ينحر
 تعبيرا واقعيا عن « الإخاء » و « التضامن » بين المؤمنين .
 والهدى أو الأضحية أو النحر فى التعبير المادى عن الإخاء والتضامن ،
 تشير من جانب آخر الى ان ختام شعائر الحج يحمل من معناه الشيء الكثير ،
 تلك العبادة التى تسعى الى تحقيق المساواة فى الاعتبار البشرى .
 ولذا يبرز القرآن الكريم هذه الشعيرة — وهى شعيرة النحر — كهدف
 قوى من أهداف الحج يماثل هدفه العام فى جملته من المنافع المادية والمنعوية .
 اذ تذكر الآية :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل
 فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ،

« ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ،
 فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (١١) .

... وذكر الله على مارزق من بهيمة الأنعام كناية عن النحر والذبح .
 وجعل مقصود ما يذبح وينحر هو « المشاركة » فى الطعام منها مع أصحاب
 الحاجة « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . فإذا لم تقع المشاركة فى
 الطعام منها من جانب صاحب الهدى وتركها جميعها للبائس والفقير فإن هذه
 الشعيرة لم تؤد حينئذ غايتها الكاملة .

كذلك اذا لم ينحر ويذبح ودفع ثمن ما يذبح وينحر نقدا لأصحاب الحاجة
 فإن « واجب » الهدى — اذا وجب بارتكاب ما يخالف بعض الشعائر أو بالتمتع
 بالعمرة الى الحج مثلا — أو التبرع به جريا على السنة الشريفة ، لا يؤدى كما
 يقتضى الواجب أو كما جرت به السنة .

ان شعائر الحج جميعها تكاد تكون تجسيدا لمعان تكون الهدف الاصيل من
 أداء عبادته .

أ — فشعيرة الاحرام والتجرد من لبس المخيط تجسد المساواة فى الاعتبار
 البشرى ،

ب — والطواف بالكعبة يجسد الترابط بين المؤمنين بالله طولا وعرضا ،
 أو فى حاضرهم وماضيهم ،

- ج - وتقيل الحجر الأسود يجسد حب الله والولاء له .
 د - والسعى بين الصفا والمروة يجسد المثابرة والصبر في الحياة .
 هـ - والوقوف بعرفات يجسد الاعتزاز بالقوة المادية للمؤمنين وقوتهم المعنوية في صلتهم بالله ،
 و - ورمى الجمار الثلاث يجسد الإصرار في دفع الباطل وإنكار المنكر ،
 ز - والنحر أو الهدى يجسد التضامن والاءاء .
 وروح الجماعة الكبرى المستهدفة إذن من أداء عبادة الحج هي مجموع هذه « المثل » أو المعاني التي هي :

- * المساواة في الاعتبار البشري ،
- * والترابط بين المؤمنين في حاضرم وماضيهم ،
- * والإخلاص لله وحده ومحبه ،
- * والصبر والمثابرة والسرعة في الاستجابة الى أصحاب الحاجة من الآخرين ،
- * والحرص على القوة المادية والمعنوية ،
- * والإصرار على مناواة الباطل الممثل بالأخص في الوثنية المادية الإلحادية ،
- * والتضامن والاءاء بين الفنى والفقر وصاحب الجاه ومن لا جاه له .

وإذا كانت شعائر الحج هي رموزا أو تعبيرات حسية عن معان مستهدفة تتكون منها الروح العامة للمؤمنين ولجماعتهم ، فإنه من غير المقبول أن تؤدي شعيرة منها في غير الرمز والتعبير الذي وردت فيه . أو على الأقل لا يبلغ عند نذ تعظيم الشعيرة المستوى المطلوب على نحو ما يوصى القرآن الكريم في قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .
 وفيما تنتهى به هذه الآية من قول الله تعالى : « ... وأحلتم لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم (أى إلا ما يتلى عليكم تحريمه في كتاب الله) ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله ، غير مشركين به » (١٢) . . . قصد منه تحذير : أن ينقل تعظيم هذه الشعائر الحسية لما فيها من معان مستهدفة الى صورها المادية فتقدس كأمكنة محسوسة ترى وتشاهد ، وليس كتعبيرات ورموز عن معان مطلوبة .

فإذا نقل التعظيم على هذا النحو صار الامر الى رجس الأوثان ، الذى نهى عنه الآية : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » لأنها تصبح عندئذ أوثانا مادية ، وصار الى قول الزور المنهى عنه كذلك : « واجتنبوا قول الزور » لأنه ينسب الى الله الآن الامر بتعظيم ما لا يعظم في قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله » فهو يدعو جل جلاله الى تعظيم المعنى المستهدف وليس الى الصورة الحسية التى يظهر فيها ، وكان الذين يفعلون هذا النقل والتحويل آتئذ من المشركين بالله ، على النقيض مما يطلبه الله في قوله : « حنفاء لله غير مشركين به » .

وإذا ضمت عبادة الحج هذه الشعائر العديدة فان الثمرة المرجوة منها هي البقاء على ذكر الله وحده ، بحيث يكون ذكره في السلوك والأفعال والمواقف . وفى التفكير والتصور كذكر الآباء أو أشد ذكرا . ولذا يربط القرآن هذه النتيجة بالانتهاء من أداء مناسك الحج في قوله : « فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله

ذكركم آباءكم ، أو اشد ذكرا » (١٣) . والنسب به بالآباء لأن أمرهم لا ينسى من أبنائهم ، إذ ينسبون إليهم ويحملون أسماءهم في تمييز أشخاصهم .

وينص القرآن الكريم على طلب هذه النتيجة لأن الطبيعة البشرية — مهما تمسكت على أداء العبادة لله — قد تنجذب إلى اغراء المتع الدنيوية . وعندئذ قد تنسى الله سبحانه وتعالى فلا تذكره ، ولا تذكر هدايته ، ولا صراطه المستقيم في سيرها في الحياة ، حتى بعد أن أدى صاحب الطبيعة التي استهوها فيها بعد بريق الحياة المادية ، عبادة الحج ، وبعد أن شارك في شعائرها وحرمتها . وعندئذ لا يعفيه أداء الحج مما سيلحقه من جزاء مقرر . وهنا تستطرد الآية السابقة فتقول :

« .. فمن الناس من يقول : ربنا آتانا في الدنيا ، وما له في الآخرة من خلاق (أى من نصيب) .

ومنهم من يقول : ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » .

فالقرآن هنا أن ربط الجزاء بنوعية العمل الذي يؤدي من الإنسان وبالانجاء الذي يسير فيه طوال حياته ويحول أن يشفع عمل صالح لعمل سيء ، فانه لا يرى « الدنيا » شرا ولا مبشرة ما فيها من متع أمرا سيئا .

والسوء في رايه هو الاكتفاء بالدنيا عن الآخرة .. هو الوقوف بالسعي عند تحصيل متع الدنيا ، ولو كان طريق تحصيلها يسبب إيذاء وأضرارا للآخرين . وهذا هو ما يتصوره الفريق الأول من الناس الذي تصف الآية اتجاهه فيما تقوله : « فمن الناس من يقول : ربنا : آتانا في الدنيا ! ، وما له في الآخرة من خلاق (أى من نصيب) » . فان هذا الفريق يقتصر أمله على ما في الدنيا وحده . والتعبير بـ « آتانا في الدنيا » دون ذكر نصيب مما فيها يجعل المطلوب كله دنيويا .

أما الفريق الآخر الذي يطلب في هدفه وفيما يحصله بسعيه نسييا من الدنيا ، ونصييا آخر من الآخرة ، كما تذكره الآية : « ومن الناس من يقول : ربنا ! : آتانا في الدنيا حسنة (أى نصيبا حسنا لا شبهة فيه من حرام أو باطل) وفي الآخرة حسنة (أى نصيبا مقبولا عند الله خالصا لوجهه) وقنا عذاب النار (هو تأكيد لما يطلبه من حسن النصيب الدنيوي والآخرى) أولئك لهم مما كسبوا (أى مما أتوا به وحصلوه بسعيهم وأرادتهم سواء في الدنيا أو من أجل الآخرة) والله سريع الحساب (للمثيب والمسيء على السواء) » .. أما هذا الفريق الآخر الذي يطلب الدنيا والآخرة معا ، ويعمل من أجلهما سويا بحيث لا ينطوى عمله على إساءة ما فهو مجزى على حسن عمله بالحسن : أن في اليوم أو في غد .

وما قد يشاع بين العامة اذن من أن الحج في أدائه يحو كل سىء في حياة الإنسان : ما سبق وما سيأتى ، فهو لا يتفق مع ربط الجزاء بنوعية العمل في صلاحه وفي إساءته . هذا الربط الذي يمثل إرادة الله سبحانه وتعالى . كقانون لا يتخلف في حياة الإنسان على مداها .

وما قد يفهم خطأ كذلك : من أن الدنيا شر يجب تجنبه ، فهو يخالف منطوق

الآية السابقة مخالفة صريحة . والعبرة دائما بنوع السعى للانسان ، ونوع اتجاهه فى الحياة .

والعمل فى الدنيا من اجل الآخرة لا ينفصل عن العمل من اجر تحصيل بعض مع الدنيا . عمل الآخرة فى الدنيا هو فى بعد العمل من اجل الدنيا عن الاساءة . . هو فى رعاية « الحسنى » والتصديق بها غيبا يعمل فى دنياه .

والعمل لذات الدنيا هو الاستهانة « بالحسنى » فى ادائه . . هو التكذيب بها كمبدأ فى السلوك والعمل .

وآية العمل الأول هو التقوى والعطاء من المال . وآية الثانى هو البخل والاستغناء بالمال والاعتزاز به وحده :

« والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى :

« — فاما من اعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى (أى نجعل طريقه سهلا ميسورا)

« — واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى .

« ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . » (١٤) .

وننادى بها نادى به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة على جبل « الصفا » :

« لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ولله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

« لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . »

ويجب أن ينادى به المسلمون عن ايمان ليشهدوا نصر الله لهم على أعدائهم ، ويروا وعده حقيقة منجزة فى حياتهم بالحسنى ، فى الدنيا والآخرة .

(١) البقرة ١٩٧ .

(٢) البقرة ١٩٨ .

(٣) الجمعة ١٠ .

(٤) الذاريات ٥٦ .

(٥) النمل ٩١ ، ٩٢ .

(٦) ابراهيم ٣٥ : ٣٧ .

(٧) آل عمران ٩٥ — ٩٧ .

(٨) المائدة ٩٧ .

(٩) البقرة ١٢٥ .

(١٠) البقرة ١٥٨ .

(١١) الحج ٢٧ ، ٢٨ .

(١٢) الحج ٣٠ ، ٣١ .

(١٣) البقرة ٢٠٠ .

(١٤) سورة الليل ١ — ١٣ .

حَيَّ آيَاتِ الْوُجُودِ

للشاعر: الربيع الغزالي

أَرَأَيْتَ آيَاتِ الْوُجُودِ عَيْنَانَا
أَرَأَيْتَ أَفَاقَ الْفَضَاءِ بَعِيدَةً
تَمْضِي رِيَادَاتُ الْفَضَاءِ لِقَايَةً
إِنْ أَدْرَكَتْ قَمَرًا وَنَالَتْ زَهْرَةً
وَكُنَّا قَدْ سَبَّحْتَ بِجَلَالِهِ
هَذَا الْوُجُودُ شُمُوسُهُ وَنُجُومُهُ
وَعَلَى كَوَاكِبِهِ الْحَيَاةُ تَغَايَرَتْ
وَكَوَاكِبُ تَجْرِي الْحَيَاةُ بِهَا عَلَى
وَعَوَالِمُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَمْرَهَا
مَنْ صَانِعُ الْأَجْرَامِ فِي مَلَكُوتِهِ
وَكَانَ سُرْعَتَهَا الْخَيَالُ إِذَا جَرَى
وَعَلَى نِظَامِهِ لَيْسَ يَدْرِي كُنْهَهُ
لَا الْخَصْرُ يَبْلُغُ عَدَّهَا بِمَرَاصِدِ
كَلَّا وَلَا هُمْ بِالْغُنُونِ يَعْلَمُهُمْ
تَمْضِي لِقَايَتِهَا فَلَيْسَ يَعُوقُهَا
لَا تَلْتَقِي مَهْمَا أَلْتَقَتْ أَفْلَاكُهَا
تَمْضِي يَنَامُوسِ الْوُجُودِ لِقَايَةً
يَمْضِي الزَّمَانُ عَلَى تَقَادُمِ عَهْدِهِ

أَرَأَيْتَ بُرْهَانًا يَلِي بُرْهَانَا
أَعْيَتْ أُسَاطِينَ الْعُلُومِ رَهَانَا
فِيهَا فَلَا تَسْطِيعُهَا لِمَكَانًا
نَطَقَتْ بِآيَةِ رَبِّهَا إِيْمَانًا
سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ سُبْحَانَا
يَسْبَحُنَ فِي أَفْلَاكِهَا أَمَانَا
وَتَشَابَهَتْ . . وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَانَا
نَسَقُ تَفِيضِ حَيَاتِهِ عُمرَانَا
وَعَوَالِمُ الْأَسْرَارِ فَوْقَ نُهَانَا
تَجْرِي عَلَى أَفْلَاكِهَا دَوْرَانَا
فِي وَمُضَةٍ بَلَّغَ السَّمَاءَ عِنَانَا
عَقْلٌ وَلَيْسَ يُحِيطُهُ اسْتِكْشَانَا
دَقَّتْ وَسَائِلُ عِلْمِهَا إِثْقَانَا
مَاجِلٌ مِنْ أَسْرَارِهَا أَوْهَانَا
شَيْءٌ وَلَيْسَ يَسُومُهَا إِذْعَانَا
وَتَشَابَهَتْ وَتَعَدَّدَتْ أَفْئَانَا
مَرْصُودَةٌ حَتَّى تَرَى إِسْدَانَا
أَزَلًا إِلَى أَبَدٍ بِمَا قَدْ كَانَا

هَذَا النِّظَامُ مِنَ الذِّى قَدْ صَاغَهُ
 اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلَالُهُ
 مَا يَسِرُّ هَذَا كُلُّهُ مَا حَكَمَهُ
 اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلَالُهُ
 سِرُّ الْحَيَاةِ ٠٠٠ مِنَ الَّذِي أَحْيَا بِهِ
 هَلْ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ خَلْقَ قَلَامَةٍ
 وَالنَّفْسُ يَا لِلنَّفْسِ مَا أَسْرَارُهَا
 وَالْجِسْمُ صَوْرَهُ سُلَالَةُ طِينَةٍ
 قُلْ لِلأَوَّلَى قَدْ أَنْكَرُوا أَحْلَامَهُمْ
 بُرْهَانُكُمْ : أَنْتُمْ يَضِلُّ ضَلَالَكُمْ
 هَاتُوا مِنَ الْجَزَائِرِ : بَعْضَ عِظَامِهِ
 ثُمَّ اصْنَعُوا عَقْلًا لَهُ وَدَعُوهُ يَمْشِي
 يَا كَافِرًا بِاللَّهِ .. فَانْظُرْ .. هَلْ تَرَى
 جِئْتَ الوجودَ .. أَجِئْتَ بِإِرَادَةٍ
 وَحَيْثُ .. هَلْ نَحْيَا بِأَمْرِكَ أَنَّهُ
 وَلِذَا قَضَيْتَ فَهَلْ بِأَمْرِكَ تَنْتَهَى
 مَنْ ذَا أَرَادَ لَكَ الوجودَ أَأَنْتَ أَمْ
 قَدْ أَقْلَيْتَكَ بِحَاجَةٍ مُجْجُوجَةٍ
 مَنْ ذَا أَرَادَ أَأَنْتَ أَمْ رَحِمُ بَيْهَا
 يَأْدُودَةٌ فِي الْقَاعِ .. مَنْ قَدْ شَاءَهَا
 اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلَالُهُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ خَصَّنَا
 وَأَنَارَ بِالْقُرْآنِ لَيْلَ حَيَاتِنَا

وَأَقَامَ مُحْكَمَهُ الْبَدِيعَ وَصَانَا ؟
 سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ سُبْحَانَا
 دَقَّتْ عَلَى فَهْمِ الْوَرَى تَبْيَانَا ؟
 سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ سُبْحَانَا
 صَوَرَ الْحَيَاةَ تَخَالُفَتْ أَلْوَانَا ؟
 أَوْ أَنْ يَسْوَى فِي الْيَدَيْنِ بَنَانَا ؟
 وَلَعَقْلُ مَنْ أَعْلَى بِهِ الْإِنْسَانَا
 تَجْرَى الْوَارِثَةُ فِيهِ أَعْجَبَ شَانَا
 وَعُقُولُهُمْ : لَا تَبْتَغُوا بُرْهَانَا
 وَتَرَوْنَ مَا يَعْيُونُكُمْ عُيَانَا
 أَوْ بَعْضَ لَحْمٍ .. وَاصْنَعُوا إِنْسَانَا
 سِىَ تَيْنُكُمْ ٠٠ هَلْ يَسْتَوِي حَيَوَانَا
 مَنْ أَنْتَ مَاذَا فِي إِهَابِكَ كَانَا ؟
 قَدْ شَتَّتَهَا وَحَلَلْتَ فِيهِ مَكَانَا ؟
 وَشَبَّتَ هَلْ تَنْمُو بِأَمْرِكَ أَنَا ؟
 مِنْكَ الْحَيَاةُ وَتَلْبَسُ الْأَكْفَانَا ؟
 أَبَوَاكَ قَدْ شَاءَكَ سَاعَةً كَانَا ؟
 فَإِذَا الْمَجَاجَةُ سُوِّتَ الْإِنْسَانَا
 قَدْ كُنْتَ شَيْئًا يُشْبِهُ الدُّيْدَانَا
 بَشَرًا سَوِيًّا ٠٠ يَمْلَأُ الْأَكْوَانَا ؟
 خَلَقَ الْحَيَاةَ وَصَوَرَ الْأَبْدَانَا
 مِنْهُ يَنْعَمَةُ دِينِهِ وَهَدَانَا
 لِنَرَى الْحَيَاةَ وَنُورَهَا : الْقُرْآنَا

الفطرة.. والكون

للأستاذ: البهي الخولي

قد يقول بعضهم في انكار أو عتب : ما بال القرآن يتحتم في مباحث الفلسفة ، والعلم ، والفكر ؟ ! ذلك ان من الاسس التي يعتنقها الغرب ضابطا للتفكير العقلي ، استبعاد النصوص الدينية جملة عن أفق العلم ، فلا يستشهد بها لصحة شيء منه ، ولا تجعل مصدرا لحقيقة من حقائقه ، ولا تتخذ قاعدة للتفريع فيه أو البناء ... عندهم أن لكل عالم أو مفكر أن يعتقد ما شاء في الخالق .. له أن يجده وله أن يؤمن به ، وليس له بحال أن يجعل لعقيدته والنصوص المتعلقة بها أثرا ما في حياته العلمية ومنهجه العقلي ، فان أمور العقيدة والدين لديهم — على أحسن التقدير — أمور وجدانية ترجع الى الذوق الباطن ، والتصديق القلبي والوحي الالهي اذا اعتقدوا ان الدين وحى من السماء ، أما أمور العلم فتراجع الى حكم الواقع المحس الذي تحصنه الملاحظة والتجربة وتضبطه معايير العقل بمختلف القواعد والأقنسة الرياضية .. ولا يستقيم شأن الانسان في الدين والعلم الا ان يأخذ كلا بدستوره في التحصيل والتعاطي هذا بالقلب والالهام وذاك بمعايير الفكر ويفصل التجربة .

وبيننا كثيرون أخذوا هذا الأخذ بحسن نية أو بحض التبعية العقلية للغرب ، فقضايا الدين لديهم ليست من قضايا الفكر ولا حقائق العلم التي تناقش بها شئون الواقع وتحرر بها أوضاع الحياة ، ومنهم من صرح بأن موضوعات الدين وبرامجه الأذاعية ليست برامج ثقافية ، انها هي موضوعات لطهانية النفس وأرضاء الوجدان العام فإذا رأوا عنوانا يتحدث عن « القرآن ومنهج المعرفة — مثلا انفضوا رعوسهم وزموا شفاههم وقالوا — ما للقرآن نقحه في

أخص موضوعات الفلسفة والفكر وربما طووا المجلة أو طووا — على الأقل صفحات المقال لأنه يقوم على فكرة خاطئة تستتبع الخلط بين ما هو من شئون الوجودان وما هو من شئون المنطق » .

ونحن نعذر الغرب — الى حد ما — اذ جعل للدين هذا المفهوم الذي يفصل بين الدين والحياة ويعزل العقيدة عن مجال العقل ، فان لذلك اسبابه من سلوك رجال الدين المسيحي وتفسير نصوصه في القرون الوسطى ، ونعذر الى حد ما — ايضا — اولئك الذين تابعوهم منا على ذلك المفهوم فان له — ايضا — اسبابه التي لا نطيل بذكرها ، ونعلن لهؤلاء وأولئك ان المعنى الذي فهموه للدين هو تلفيق شئائه لا يمثل حقيقة كونية ولم يردده الله لدين من الأديان ، انما اراد الله دينا هو حقيقة علمية يشهدها العقل في صفحات الكون المحس كما يشهد ان الواحد نصف الاثنين وأن الكل أكبر من الجزء .. اراد الله دينا هو حصيلة نظر عقلى حر في حقائق الكون المادى غير متأثر بأى أحياء ، او تخيل او تقليد موروث .. فاذا كانت حصيلة النظر في آفاق الكون تعتبر في ضوابط المعرفة وموازينها (علما) فهذه الحصيلة ذاتها هي مفهوم الدين .. أى هي علم ودين ما .. وذلك معنى سنعرض لبيان ان شاء الله في موضعه .

فاذا ذكرنا القرآن بصدد المعرفة فانا نعنى كتابا نهطا غير الذى تمثلوه للكتب الدينية ، نعنى كتابا يتضمن مناهج سديدة فطرية للنظر في الكون ، ويجعل حصيلة ذلك النظر قوام علم الانسان وجماع مبادئه وقيمه ، وهو في تقريره لتلك المناهج لايعنت الفطرة باقحام الاوامر وسوقها الى مالا تعهد ، بل ينبه معايير الوعى والادراك فيها ان تنظر فيها حولها ، ولا يرضى بته بغير ما تقبل وتأتى به تلك الفطرة .. فلينبطروا معنا فيما يعرض ذلك الكتاب الحكيم ، فانهم موثوقون ان يروا النهط الأصح لمسلك الفكر الى المعرفة ، وهو نهط يحسم الأخطاء ويبلغ اليقين الذى تقر به الأئمة وتسعد الضمائر .

فالقرآن في هذا الباب انما هو ترجمة ما في الفطرة ، يقرر صلتها بالكون ، وما تتضمن من ملكات النظر وكيفية .. فلو ان انسانا — لايعرف القرآن — اقام فطرته على سميتها في نظره الى الكون ، وانعم النظر وتحليل الملاحظة ، وسجل ماينتهى اليه جهد التفكير والتفاعل مع الكون لوجدنا حصيلة تتحلى بنفس الخصائص التي يقررها القرآن مع فارق اساسى ظاهر هو الشمول والاحاطة في تقرير القرآن مع صدق الخصائص وعمقها .. وهذا هو النهج الذى اتبعته في هذا البحث فانى عولت على الفطرة وواقع تفاعلها مع الكون ، واطلقت العقل على سجيته فالفيتة في اكثر ما كتبت ينتهى بى الى مفهوم آية قرآنية لم تكن بخلدى حين بدء الكتابة ، بحيث لا يشرق على نصها الا وقد تمهد العقل لمفهومها فيظن العقل لقوة وضوح المعنى في البديهة كان الآية لا تتضمن ناموسا باقيا او حقيقة خطيرة تستأهل التقرير .

تمائل الكون والفطرة

وقد كتب الباحثون كثيرا عن بداءة الانسان وتطور صلته بالكون منذ وعى نفسه الى اليوم .. وكتبوا على الأخص في صحبته العقلية له ، او صلته العقلية به ، فبينوا كيف كانت ساذجة بادىء بدء لاتحسن التعليل والحكم على ماترى من مشاهد وظواهر كونية خطيرة كمشاهد الشمس والقمر والنجوم والنجوم .. وكظواهر الرعد والبرق والسحب والمطر والسيول ، اذ كان يسأل

نفسه فى دهشة ما هذا ؟ وكيف ؟ ولم ؟ أو من أحداثه ؟ فلا يجد فى خزانه تجاربه وملاحظاته ما يقدم له الحكم الصادق والتعليل القويم لما يرى .

وتمضى الحقب وتتتابع الدهور ، ويأخذ على ضوء ما حصل من تجربة وما توالى من ملاحظات فى تعديل احكامه ومراجعة ماله من تعديل حتى بلغ اليوم شأوا يمتد به فى ذلك .. ولسنا بصدد احصاء ما كان له من خطأ وصواب .. وخرافة وعلم وحق وحكمة ، ولكننا نلحظ فى حصيلة ذلك الماضى وما انتهى اليه الآن ان بين الكون وفطرة الانسان فطرته الحسية وفطرته النفسية وفطرته العقلية علاقة توائم أو توافق تلفت النظر ومن ظواهر ذلك التوافق ما يلى :

١ — الملاعة التى يلبى بها الكون ضرورات الانسان واحتياجاته بمقد صلب الانسان الكون منذ بداعته بصفحة بيضاء خالية من التجربة فقادته حواسه ومعدته الى التفاعل معه فوجد انه كلها احتاج الى طعام أو شراب أو نحوهما من مقومات حياته قدمه له الكون أى وجده أمامه ميسرا حاضرا موافقا لفطرته وحاجته .

وهذا ضرب من التوافق بديهي وخطير معا ، بديهي لانه واضح وضوحا لا يكاد الانسان يلتفت اليه « ومن شدة الظهور الخفاء » كما يقول البوصيرى وخطير لانه أساس حياة الانسان الحسية فى الأرض . وقد كان من وضوح هذا التوافق اننا شغلنا عن التفكير فى خطورته وعجائبه حتى اذا رحل الانسان الى القمر لم يرحل اليه الا ومعه طعامه وشرابه ، بل لم يرحل اليه الا ومعه هواؤه الذى يتنفسه ، وكل من تتبع انباء رحلات الفضاء كان يعلم انه لو ثبتت ملابس احد رجال الرحلة لفقد حياته ولا بد ، لأن هواء القمر ليس له التركيب الذى يتلاءم به مع كيان الانسان الحسى .

ومن هنا ندرك ان قوله تعالى (ياايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) و (كلوا واشربوا من رزق الله) لا يقتصر فحواه على انه مجرد دعوة الى أن ناكل ونشرب مما فى الأرض لأن ضرورة الانسان تدعوه بل تضطره الى ذلك دون انتظار لصدور الاذن أو الأمر به ، انما يتضمن القول الكريم — الى معنى الدعوة — حقائق هى سنن من سنن الله ، يدخل فى غرضنا منها الآن اثنتان : الاولى تقرير افتقار حياة الانسان الى افتقار فطرته الحسية الى ما فى الأرض من عناصر ، وتلك حقيقة كونية خاصة بنا لا جدال فيها ، والثانية تقرير الملاعة بين عناصر الأرض وفطرة الانسان وهى سنة كونية أخرى ..

وفى كل ذلك للانسان آفاق من الاعتبار والعلم على مثل ما يقول تعالى (كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولسنا بصدد الاستطراد الى حديث تلك الافاق فسيأتى ان شاء الله فى مناسبتها ، والذى يعنينا فى مقامنا هذا ان ما قرناه هو ضرب من الملاعة أو التماثل بين الانسان والكون لا مرية فيه .

٢ — وفى الكون ضروب من الثروات كالحديد والنحاس والذهب والفضة وغيرها من الفلزات التى ليست بطعام ولا شراب ولا تدعو اليها ضرورات البدن الحيوية ، اذ ان أى حيوان انما يعيش دون حاجة الى حديد أو معدن ، بل دون أن يدرك ما الحديد ولا المعدن ، ولكننا ندرك فى الوقت نفسه أن تلك المعادن تدخل فى حياتنا دخولا عمليا فلا نجد ظرفا من ظروف حياتنا المختلفة الا ولها فيه دور يتطلبها ، (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ذلك ان للانسان فطرة عدا فطرة الحيوان التى قدمنا فى الفقرة السابقة هى فطرة التحضر

والتمدن التى لا تشهد طعاما ولا شرابا بل تتبعك باحتياجات لا تجد سداها
الا فى مكونات تلك الأرض من معدن وحجارة ونحوها .

والمعروف ان الانسان القديم حين دعاه الخوف الى التجمع ليدرا عن
نفسه غائلة الضواري ظل له احساسه بفرديته التى يسونها : ال (انا) فان
التجمع كان مطلوبا لحياة ال (انا) لا لتذوب فيه الفردية وتلاشى ، وما لبث
بالتجمع ان وجد نزوعا فطريا ينبثق من تلك الفردية فى عبق ينشد التستر
والانفراد بمسكن مستقل ، وسنعود لشيء من تحليل ذلك بعد قليل فى هذا
المقال ، والذى يعيننا هنا ان هذا النزوع الفطري كان بمثابة نداء باطنى ملح
فى طلب المسكن المستقل ، ولم يكن باستطاعة الانسان ان يتجاهله متحرك فى
بيئة الجبال يطلب الكن ، واقبل فى بيئة البدو يتخذ من الجلود والوبر خباءه ،
وفى بيئة الادغال يتخذ كوخه ، وفى الريف وجد ما ينشد فى مادة الأرض
حجارنها وطينها ونحوها وفى هذا المعنى الدقيق الذى يمثل البذرة الاولى
لحضارة الانسان يقول تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم » ، « والله جعل لكم
مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال اكاثا » .

والحاح هذا الباعث وشدة دابه على الحفز والاستحثاث لطلب البيت
المستقل يذكرنا بالحاج باعث المعدة لطلب القوت ، كان الباعث الاول (معدة
نفسية) الى جانب المعدة المحسة ، فهما دائيتان على حفز الانسان للاتصال
بالكون الخارجى ، معدة الحس تطلب القوت من مادة ذلك الكون ، لتحصيل
الطاقة التى بها سعى البدن وممارسة نشاطه على وجه الأرض ، والمعدة
الآخري تطلب (البيت) من مادة الكون نفسه اذ هو الحضائنة الضرورية لخصائص
حضارة الانسان ، فتكون المعانى والطاقة النبيلة التى تقوم بها الحضارة
وتردان الحياة .

ولسنا نتحدث عن دور البيت بل نتحدث عنه باعتباره امرا مطلوبا تشهده
الفطرة وتلح فى طلبه فلا تسكن الا ان ينبعث الانسان ويحقق لها من مادة
الأرض ما تريد ، ويعيننا من ذلك ان كوننا الأرضى واجه مطلب الانسان فمقدم
له من مادته ما يلائم ضرورته ، وهو ضرب من التماثل او الموائمة لا مرية فيه .
٣ - وفى الكون ما نسميه (قوانين الطبيعة) وهى حقائق مغلقة دون
الحواس ، ولا توجد مفاتها فى ذهن حيوان او معدن او نبات ، انما تجدها
فى ذهن الانسان وحده ، ومعنى ذلك ان لذهن الانسان خاصية ثلاث نظام تلك
القوانين ، فاذا التقت تلك الخاصية بتلك القوانين على السنة العلمية المقررة
او المقدرة لالتقاءها أفضت القوانين للذهن بسر تسخيرها ، وكان للانسان منها
كل منفعة مقدورة ممكنة ، فالانسان بهذا لم يسخر القوانين ، ولم يوجد لها كما
يتبادر لذوى النظر السطحي الذين يزعمون ان الانسان قهر الطبيعة وسخر
قوانينها ، وتحدى الكون فظهر عليه ، فان الانسان لا يملك اية قدرة عقلية او
بدنية لتسخير قانون مافى غير ما قدر له ، اى لا قدرة له بته على اخراج نوااميس
الكون عن طبيعتها ليجعلها كما يشاء ، فالذى يدل عليه النظر الصادق النافذ ان
نوااميس الكون سويت على ما اراد خالقها ، وقد سويت على الوضع الذى
يحقق التوافق بين بعضها وبعض « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ومن تلك
النوااميس نظام عقل الانسان ، وبهذا التوافق بين الجميع تعمل كافة النوااميس
فى تناسق وتكامل ، فلا يكون النظام الذى يتفق مع مصلحة كل كائن بحسب

مكانه فى الكون ودرجته فى سلم الحياة وكل الكائنات فى ذلك سواء الا أن خاصية الرياضسة فى ذهن الانسان — أى خاصية فهم تقديرات النواميس لا تهتدى الى نظام تطابقها الا بالتجربة وبقية الملاحظة ، فاذا اهتدت تيسرت للانسان منها منفعة ، وقيل انه سخر الطبيعة وهو خطأ قدمنا صوابه ، فالطبيعة قد خلقت مسخرة مسيرة لما أريد لها ، والمصالح انما هى ثمرة التطابق ومظهره ، وإذا كان التطابق يعنى معرفة التقديرات الرياضية التى تعمل بها كافة قوانين الطبيعة عملها الدائب ، فكيف الانسان أسلوب سسعيه فى تحقيق منافعه ومصالحه على قواعد الاستفادة من تلك القوانين ، اذا كان التطابق يعنى ذلك فان مرادنا هو ذلك التماثل بين عقل الانسان ونظام الكون . . وهو ضرب ثالث من الملاعبة والتوافق لا مرية فيه .

تلك ظواهر ثلاث قائمة مسلمة ، لا شك فى قيامها وتسليمها ، ويعيننا منها انها دليل حاسم على ما بين فطرة الانسان ونظام الكون من توائم وتطابق ، بل أن الامر على ما هو واضح فوق مرتبة الدليل الحاسم ، فان ما قدمنا انما هو ثمرة الملاعبة والتطابق يراها العقل ملحقة بأصلها فى يقين لا شبهة فيه بة ، والمرء بازاء رؤيته العقلية لنلك الثمرة لا يجد فى نفسه أى مجال للتهاس دليل يثبت له تلك الصلة ، فان التطابق لو لم يكن أمرا مشتركا بين الكائنات وسنة جامعة لها لرفض الجسم أى طعام يتناوله الانسان بل لما كان ثمة طعام قط ، ولما تهيا للانسان ادراك أى قانون طبيعى ، ولما نشأت له أى حاجة الى حديد أو نحوه ، ولكانت صلتنا بالفلزات عامة كصلة أى حيوان أو دابة فى البر والبحر والجو ، ونخرج من هذا بأن التطابق بين نظام فطرة الانسان وناواميس الكون وحقايقه ليس من قبيل الدعوى أو القضية ، انما هو حقيقة مشهودة بآثارها لمن اعتادوا أن يدركوا بقولهم حقائق الكون الحسية والمعنوية .

الفطرة رائدة الى التوائم

وواضح مما تقدم أن فطرة الانسان — فطرته الحسية والنفسية والعقلية — كانت هى رائدة جهوده فيها تحقق من تطابق بينه وبين الكون .

١ — فان حواس الانسان ومعدته قادته — على ما قدمنا — الى التفاعل مع الكون ، فوجد أنه كلما احتاج الى طعام أو شراب قدمه له ؛ وتقدير ذلك من حيث طبيعة الجسم أن الانسان يحس الجوع فيبعثه الى أن ينهض باحثا عن القوت أو ساعيا اليه ؛ فاذا ادرك حاجته منه سكن عنه الجوع ، ثم يتقلب فى الأرض تقلبه ويكد ما يكد ، فيفقد الجسم بما يبذل من جهد وحركة الكثير من خلاياه — أو الكثير من لبنات بنائه فيتخلخل ويفقد توازنه ويحتاج الى عملية تعويض تعيد اليه ما فقد من بنائه ، ويكون (الاحساس بالجوع) هو الناقدوس الذى ينبه الانسان ويدعوه الى عملية التعويض — أى الى وجبة طعام — تقيم الصلب على سمته الطبيعى . . وبنءاء هذا الداعى — الجوع — ينهض الانسان باحثا عن الطعام أو ساعيا اليه . . وهكذا . . . وذلك ما يسمونه غريزة « المحافظة على الذات » . ونلاحظ فى تقرير ذلك أن المدة لا تفقد شيئا من بنيتها بسبب سعى الانسان وكدحه اليومى ، انما الذى يفقد هو الدم ، وهو الذى يضار ويتخلخل ، ويحصل بتلك الخلخل وما احترق من الخلايا أن يحس الانسان (بالتعب) وذلك منطق تركيب بنية البدن ، فاذا أصاب الانسان خطأ من الراحة قد يذهب عنه احساسه بالتعب ، ولكن يظل الجسم تنقصه (عملية التعويض) فاذا لم يكن هناك ناقوس

فطرى يسوقه سوقا الى وجبة الطعام ، فان الانسان لا ينتبه لشيء الا الى ان جسمه فى ضهور وذبول مستهزئ . . حتى يقضى . . فشاعت حكمة الخالق ان ينبعث هذا (الاحساس الصانع) الجوع من جوف المعدة ، العضو الذى لم يمسه نصب ولم يفقد من بنائه خلية واحدة مع التسهيل بعض الشيء فى المصطلحات الطبية ، فالاحساس بالجوع هو قوام غريزة (المحافظة على الذات) . . وهو بها قدمنا أمر فطرى مركز فى النفس لا ينفك عنها ، وهو اذ يؤدي للانسان أخطر ما يحفظ كيانه الحسى ، **يعمل عمله الدائب القوى فى سوقه الى التواؤم مع الكون** .

هذا وقد بلغ الانسان فى هذا الضرب من التواؤم اقصى غايته اذ لم يبق فى الارض عنصر واحد تدعو اليه المحافظة على الذات — أى تتعلق به حياة البدن — الا اخذ حظه منه منذ أقدم العصور من هواء وماء وخضر وحب وفاكهة وبقل ونحوه . . وما نشهد للانسان من جهود فى هذا السبيل انها هو اعادة وتكرير لمطالب (المحافظة على الذات) وليس من قبيل الاضافة التى تحقق بها غريزة المحافظة على الذات تطابقا جديدا مع عناصر لم تكن تطابقت معها .

على ان الانسان منذ أقدم عصور تحضره نسي باعث المحافظة على الذات ، وتولاه نعم الى الترف ومضاعفة الاحساس باللذة ، وتنوع صنوفها ، والحصول على اكبر قدر ممكن منها : فلا يأكل او يشرب ليؤدى لبدنه حقه ، بل استجابة لما يصبو اليه من لذات . . كل ذلك فى طموح يزيد الجهد والتوسع فى الانتاج مع ابتكار المثيرات والأخلاق التى تشهى الطعام وتثير الرغبة اليه .

ولا شك ان اللذة امر زائد على ما تطلبه غريزة المحافظة على الذات ، فان الاغراق فيها والاستكثار من صنوفها ليس عنصرا غذائيا يتجدد به للجسم ما فقد من خلاياه ، فهو بذلك امر دخيل على طبيعة ونواميس صحته ، يرهقه وينهكه ، الى ما يلحق بالنفس من تلف وبطء . . فاذا عرضناه على منطق السنن الفيناه طاقة أو جهدا خاسرا لا مكان له فى الكون ، لا يآوى الى سنة ولا يتطابق مع شيء . .

ولا جرم ان نبذ القرآن هذه الآفة — آفة الترف — وجعلها من ظواهر انحلال الحضارات والأمم على ما سيأتى فى مكانه .

اما الطموح الذى اشرنا اليه فهو قوة مباركة تحدد الانسان الى المثل الأعلى فى كل شأنه (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ولكن استيلاء عوامل الغفلة على الانسان ينسيه مثله الأعلى ، فتضل تلك القوة غايتها ، وسنعرض لذلك ان شاء الله فى مناسبته ، وما أردنا بالاشارة اليه الا أن نفرق بين ما هو حق وما هو باطل فى الميدان الذى تصطرع فيه قوى الانسان المختلفة ليعرف فضل غريزة المحافظة على الذات فيما تؤدى اليه من مصلحة وفيما تحدوه اليه من تطابق مع الكون . .

٢ — والتجمع بالنسبة للانسان كان وسيلة يدفع بها عن ذاته مع بقاء تلك الذات على ما لها من معالم الفردية ، وخصائص الأنانية . . وفى ظل التجمع وحماه بدأ يحس نزوعا من أعماق ذاته ينشد التستر فى بعض أمره . . بدأ يحس لنظرات الناس اليه فى بعض أمره حسابا غير حساب تعاونهم معه فى جلب صيد أو مغالبة الضواري ، بدأ يحس لهذه النظرات انقباضا يحمله على ستر

بعض أعضائه وإقامة ركن مستقل لمواراة بعض شأنه ، وإزاء الحاج هذا الإحساس وقوة دفعه وتوجيهه أقام الإنسان (البيت) وسكنت به نفسه . ولم يكن ذلك عرفاً أو وضعاً ارتضته الجماعة ، فإن الاعراف قواعد محلية تنشأ ببواعث خاصة وتختلف من بيئة إلى أخرى ، على حين نرى تلك الظاهرة — ظاهرة اتخاذ البيت — عامة في كل بيئات الإنسان التي تسنى له فيها التجمع ، حتى لنرى أهل الريف والبدو وسكان الجبال والادغال تأخذهم داعية ذلك النزوع فيتخذون ذلك الكن ، فمنهم من وجد في الجبال كنه ، وفي الادغال كوخه ، وفي البدو — من جلود الانعام — خبائه ، وفي مادة الريف من الطين أو اللبن ماواه ، على ما يعم القرآن بقوله الذي قدمنا (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) .. (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكناناً) .. وإذا كان ذلك عامياً في كل بيئة فقد مضى عليه شأن الأفراد في كل عصر .

وكذلك لم يكن عامل المناخ هو الذي حفز الإنسان أساساً لاتخاذ (البيت) ، فقد رأينا (البيوت) في بعض البيئات ولا سقف لها فقصارى أصحابها منها أن تكون عمالاً يريدون من نظرات التطفل والاستكناه (١) ذلك الى أن داعى التستر في بيوت البدو أوفر وضوحاً من داعى اتقاء البرد والريح وغيرهما من عوارض الجو في الليل والنهار (٢) .

ومن الملاحظ أن الإنسان في بعض المناطق يكتفى بستر عورته مع أنها أقل أعضاء بدنه تأثراً بحرارة الجو ، هذا وقد صعب الإنسان عوامل الجو دهوراً طويلة قبل مرحلة التجمع فلم تثره الى ستر عورة أو اتخاذ بيت خاص ، إنما كان ذلك بعد التجمع في شأن لسنا بإزاء بيانه .

وإذا لم يكن اتخاذ البيت من قبيل العرف في الجماعة ولا اتقاء عوارض الجو ، وهو مع ذلك عام لجميع الأفراد في كل بيئة وجبل فهو أمر ذاتي لا عرضي يرجع الى فطرة النوع نفسه .

ويلاحظ أن باعث جمع القوت في الفقرة السابقة — الموسومة برقم ١ — باعث حسسى حيوانى ، إذ المراد بالمحافظة على الذات المحافظة على حياة البدن ، أما الباعث هنا فلا يطلب قوتاً وليس هو من البواعث التي تنبثق من فطرة المحافظة على الذات — رأس غرائز الإنسان — فليس هو جعلاً لعرض ، أو منافسة عليه ، أو تصدياً للقرن ، أو طلباً لسيادة ..

وقد يذكر هنا داعى (الفردية الاقتصادية) الذي ينجح بالفرد ليحوز الى جانبه حصيلة عمله فيكون جمعها في (حيز خاص) تحقيقاً لفرديته وإرضاءً لآنانيته وتوكيداً لشخصيته وإرادته ، ويكون ذلك تفسيراً اقتصادياً لاتخاذ البيت ، وذلك مردود لأن من كان رزقه في الغابة أو مذكوراً له في صيد البحر ، يحصل عليه يوماً بيوم دون ضرورة لحيز لم يغنه ذلك عن اتخاذ البيت .

وكذلك الكثيرون الذين لا تزيد حصيلة عملهم عن كفاية قوتهم اليومي ، فانهم قد اتخذوا البيت مع عدم الحافز الاقتصادى اليه ، ذلك الى أن (الفردية الاقتصادية) وزناً آخر يجردنا من شوائبها وتعقيداتها — سنعرض له إن شاء الله في حينه — وقصارى ما تنتهى اليه تلك الفردية بعد تجريد جوهرها من عقابيل الانانية . وأوهاها الدخيلة ، أنها عامل عمارة واحياء ، وليست من مقاصد الطبيعة في الحياة والكنز .. ولما انحرف الإنسان عن مثله الأعلى باستيلاء

الفنلة والعوامل الدخيلة انحرف معه طموحه وصادف اتجاهه نحو الحياة نفس اتجاه عاملنا الأدبي الملح في اتخاذ البيت ..

وإذا فباعث اتخاذ البيت لا ينبثق من غطرة الحس في الإنسان .

وإذا كان هذا الحافظ غطرة غير حسية ، وهو في الوقت نفسه غطرة في كافة افراد النوع فهو غطرة معنوية أو روحية أو أدبية ، ولولا أثرها العميق الحافظ الى التستر في داب لا يسكن الا أن يتخذ الإنسان بيته لما احس لها أحد وجودا ، وأول ما قص القرآن من تجارب الإنسان في تلك الغطرة النازعة الى النيل أن آدم وزوجه عليهما السلام لما اكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتيا ادركهما وازعهما ، أو داعيها النبيل ، وطفعا يخصفان عليهما من ورق الجنة سترًا لما بدا منهما ..

ولقد سمى النزوع الى جمع القوت (غريزة المحافظة على الذات) لأن تلك المحافظة هي الغاية من الطعام ، وامضاء لهذا المنطق نسمى نزوع النفس الى اتخاذ البيت (غريزة السكن) ، إذ بهذا البيت تسكن النفس بسستر ما يؤذيها تعرضه للأنظار ، وقد سباه الله (سكتا) بقوله : (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) ، وليس الشأن في النص الكريم شأن مبتدأ وخبر انما هو نص على قانون من غطرة الإنسان ، لا ينفك عنها ، وهو سكن نفسي لاحسي ، لا يتحقق الا أن يحتوى الإنسان (بيت) خاص به ، ومما له دلالة على (غطرية) هذا القانون في النفس أن الإنسان إذا نزل (فندقا) احس — بامتداد الإقامة — نزوعا الى بيته الخاص مهما يكن بالفندق من أسباب الراحة وجودة الطعام والخدمة .

وإذا تقرر أن تلك غريزة تبعث الإنسان على التماس مطلب له من مادة الأرض ، وقد وجدت في تلك المادة ما يلائم المطلب ، فذلك شاهد لتلك الغطرة بأنها قائد الإنسان أو رائده الى التلطاق مع الكون .

ويبقى أن نسأل : هل اتيت غريزة السكن دورها في تحقيق التلطاق أو أن ثبت مدى عليهما أن تبلغه ؟ . والإجابة ميسورة إذا ذكرنا أن تلك الغريزة لا تنشُد سوى ما يكتنحها عن نظرات الفضول ، وقد تحقق ذلك من أول الأمر بأبسر المواد .. بخباء البادية ، وكوخ الأدغال ، وبالحجارة الساكنة أو الطين أو اللبن أو بهن جميعا في الريف ، وما زاد عن ذلك بالاتساع وكثرة الحجرات أو التعلال في البنيان ، فليس من مطلب الغطرة وهو فوق ما تدعو اليه الضرورة ، فمكانه هنا هو مكان التزيد في الأطعمة من الترف وتزينها بالنسبة لغريزة المحافظة على الذات ، وقد كان بيت النبي محمد — عليه الصلاة والسلام — حجرة بسيطة قائمة بالجريد الذي يشده الطين والشعر بعضه الى بعض ، فليس التعلال والتوسع والغلو في الزخرف والأثاث ونحوه الا أثر الاستفراق في شهوات المظهر وغفلة حاسة النظر عما جعلت له ..

ويجب أن نفرق بين ذلك الغلو في اتخاذ البيت وبين واجب العمارة الذي ألقى على الإنسان بقوله تعالى (هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أي طلب اليكم عمارتها بالزرع والاحياء ، وبناء المدارس والمستشفيات والمصانع ونحوها من المنشآت النافعة ، ولذا نعى الله على قوم مجاوزتهم للحكمة في البنيان بقوله : (اتبنون بكل ريع آية تعبثون) ، واعتد ذلك من مظاهر انحلال الأمم وذهاب الحضارات ، وستعرض له في موضعه من البحث .

فثبت عمارة دعى اليها الإنسان وأهل لها بملكة في الذهن ، وثبت مطالب غريزة السكن التي لا تنشُد سوى مجرد بيت ،، ويجب أن أن نفرق بين هذين

وبين مظاهر الطجوح الذى ضل سبيله ، فجاوز بجهود الانسان حدا الحكمة والضرورة فى المطعم والسكن الى عبث يويق النفس والمال والمجتمع .

ونخلص مما تقدم بان غريزة السكن قد أدركت غايتها من تطابق الانسان مع الكون ، منذ استخلصت من مادته الطبيعية حاجتها الى بيت يكن على صورة أولية . وان جهود الانسان فيما وراء ذلك لا تحقق جديدا من التطابق فى بابها لأنها اما عبث ذاهب الى خسر ، واما عمارة سياى نؤها على ما قدمنا ..

٣ - وكان ما حقق الانسان من مواعمة عقلية بينه وبين نواميس الكون ثمرة فطرة حافزة رائدة ، انبثقت فى الانسان وصحبته فى مدارج تطوره منذ وعى نفسه الى اليوم ، اذ كانت تلك الفطرة تستشرف لكل ما يثير اهتمامها من ظاهرة أو حدث أو كائن ، محاولة أن تعرف ماهيته ، أو كينيته ، أو علته .. لم تكن تلك أن تنظر السماء والقمر والنجوم والشمس فى غير اهتمام وتساؤل ، وما من شك فى أن ظاهرات البرق والرعد والعواصف والسحب والمطر وارتفاع مد البحر مثلا قد أثارتها فانبعثت تسال ما هذا ؟! كيف كان ؟! لم ، أو من أحدثه ؟! وكانت فى كل ذلك تثير العقل للبحث والكشف عن المراد ، وكان العقل خلال هذا المدى الطويل كثيرا ما يعود من بحثه باجتهاد خاطئ أو وهم وقع له على غير أساس علمى .. ولما كان يصيب ..

ولا يعنينا ما كان للعقل فى ذلك من خطأ وصواب ، وخرافة علم وكذلك لا يعنينا لم كان الخطأ أو لم كان الصواب ، انما يعنينا شأن تلك الفطرة المستشرقة التى تتسائل فتنبعث العقل ليعرف ما تسال عنه .. ان هذا التساؤل يمثل ولا بد رغبة نازعة الى المعرفة أو الى التعلم ، ومن البديهي أن يسبق التساؤل ادراك الحواس لشيء يثير السؤال ، ظاهرة أو حدث أو كائن ، فإذا حصل ذلك الشيء فى وعى الانسان ، وكان غير معروف الكنه أو الكيفية أو العلة - استشرفت تلك الفطرة فطرة التعلم الى معرفة ما تجهل ، فادراك الحواس لشيء ما أمر ضرورى لحصول ذلك الشيء فى وعى الانسان ، ثم يكون الاستشراف للمعرفة والتساؤل ويكون انبعث العقل للملاحظة والتجربة والموازنة والكشف .

وتلك فطرة فى كل آدمى بلا جدال ودون استثناء ، وهى جديرة أن تسمى (فطرة المعرفة) ، ولكن أجدر من ذلك أن تسمى (فطرة التعلم) ، ففى كلمة (التعلم) معنى ايجابى ، ودلالة على جهد ذاتى ، ينشئ الكشف عما لا يعلم الانسان ، وذلك نفسه هو شأن تلك الفطرة ، على أننا ننظر فى ذلك الاختيار الى قوله تعالى فى أول ما نزل به الوحي « علم الانسان ما لم يعلم » فالتعليم هنا ليس تعليم تفاصيل الشرائع وأصولها ، وليس تعليم كائنات الطبيعة عناصرها وخواصها وقوانينها ، وليس تعليم السنن الإنسانية الخاصة بتقويم الانسان ، وما بذلك التقويم من عجائب الملكات ، وقوانين الايجاب ، وحقائق السلب ، وما له فى مجتمعه من نواميس المصالح والترابط أو الفساد والانحلال . التعليم هنا لا يراد به قطعا شيء من ذلك لأنه حين نزول النص الكريم (علم الانسان ما لم يعلم) لم يكن للانسان علم بما قدمنا أو نحوه ، واذا هو تعالى صادق اتم الصدق واكمله ، فالتص الكريم يتضمن اخبارا بخصوصية تكوينية ثبت بها فى الانسان ملكات التعلم ، واستعداداته التى تجعله طلعة دائم الاستشراف لمعرفة ما لم يعلم ، ويؤنسنا فى هذا قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ، فان التأمل فى تاريخ الانسان ، وتدرجه فى المعرفة مع الاطلاع على ما لأئمة المنسرين من قول فى ذلك ، يوجه العقل الى أن هذا التعليم ليس

مرادا به أنه تعالى علم آدم كل علم كان وكائن وسيكون بكل لغة كانت وكائنة ومستكون ، فكان عليه السلام يعلم قوانين الطبيعة في الفلك والكيمياء وتسخير الماء والهواء والمغناطيس والكهرباء والرياضة البحتة ونظرية النسبية والذرة ومحتوياتها ونحوه مما هو معروف الى ما يجد الانسان في معرفته وكشف اللثام عنه ، ولسنا نستبعد ذلك على قدرة الله ، ولكننا نقوله لأن الايق بحكمة الله أن يعلمه — فعلا — ما ينظم صلته بواقعه ، وتحقق به المصلحة ، أما أن يعلمه ذلك كله كما يعرفه العلماء الآن وكما سيعلمونه فيما بعد ليكون معطلا في ذهنه لا يطبق منه شيئا في حياته ولا يكون له أثر في انتفاع أهله وبنيه به ، فهو مناف للحكمة على ما علمنا من سنته تعالى ، إذ لا يجلى الشيء الا حين تنهيا الاسباب للانتفاع به ومعرفة حكمته ، انما نذهب في هذا التعليم الى ما ذهبنا في قوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) ..

ونخرج من هذا بأن اجدر ما تسمى به تلك الفطرة هو (نظرة التعلم) لمطابقته لغويا لواقع الانسان في المعرفة ولورود الوحي به .

واذ تقرر من فطرة التعلم أنها نازعة أبدا الى التساؤل والاستشراف ، سائقة الانسان أو متنتقلة به من جهل الى معرفة ، والمعرفة هي الأمر الحتمي للتطابق بين نظام عقل الانسان وقوانين الكون — فان معناه أن فطرة التعلم كانت رائدة الانسان فيها حتى من تطابق .

وقد سألنا في مس غريزتي (المحافظة على الذات) و (السكن) هل أدركت كل منهما تمام دورها في التطابق ، وتبين من المناقشة أن كلا منهما أدركت الغاية من ذلك ، ومن الطبيعي أن نسأل هنا السؤال نفسه : هل حققت فطرة التعلم غايتها ؟ أي هل حققت دورها في التطابق العقلي بين الانسان والكون ؟

ولكي يتيهأ الذهن للإجابة عن هذا نذكر .

١ — أن صفحة الكون الطبيعي كله في الأرض والسماء بما حوت من كائنات ونواميس هي مجال نشاط تلك الفطرة ، وذلك بديهى ، فانه ليس لنا مصدر طبيعي للعلم سواها .

ب — وأن وسيلة تحصيل العلم منها تلك الفطرة .

ج — وأن صفحة الكون مبسوبة أمامنا لا تطوى عنا شيئا من محتوياتها ودلالاتها ، ولا تكف أحدا عن التطلب والتعلم ، وإذا كان ذلك هو الواقع البديهي فقد قرره القرآن الكريم بقوله : — (انظروا ماذا في السموات والأرض) ؟ ، أى يطلب البنا أن تقوم بعمليات مسح عقلى لاماد الكون وآفاقه لنعرف (ماذا في السموات والأرض) ، ومعلوم أن ذلك مطلب رهيب خطير ، فان مفهوم السموات يمتد آفاقا بعد آفاق في مسافات تحيد الرعوس لذكر أبعادها الى ما لا يمكن ادراك أبعاده ، وتنقطع دونه أدق الوسائل العلمية ، فلن تبلغه يوما من الأيام ، (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون) ، ولكن الخالق تعالى ما كان ليكلفنا هذا التكليف الخطير الشريف الا وهو يعلم أن ما كرمنا به من أهلية التعلم كفاء له ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) .

وإذا كلفنا الله النظر في تلك الأفاق السحيقة والمجاهيل التي لا يعلم كنهها إلا هو ، طلب لنا ألا نجاوز مادة الواقع المحس قيد شعرة ولا ما دونها (انظروا ماذا في السموات والأرض) ؟ ، أى انظروا أى شئ في السموات والأرض .. وهو نظر حسي عقلى معا ، وإنما يقع الحس والعقل على مادة الكون لا غير ، وما يلبسها من حقائق عقلية ، أما ما وراء مادة الكون ، أى ما عداها ، وما يسمونه الشطحات والتورط فيها لا يناله الحس ولا يضبطه العقل برؤية بديهية أو قانون محسوب بقواعده وأقيسته ، فليس من سنن النظر العلمى الذى دعا إليها النص الكريم .

وقد ذكرنا (ملابسات) المادة ، ونعنى بها (حقائق) تلازمها ، ولا تنفك عنها ، ولا يمكن أن ترى المادة مستقلة عنها بحال ، من ذلك . أن المادة تشغل (حيزا) ، ولا بد .. وهذا الحيز بقدر حجمها ، ولا بد .. لا يزيد عنه ولا ينقص ، ولا يتسنى للعقل بحال أن يرى المادة دون أن يراها متلبسة بالحيز كما لا يستطيع أن يرى حيزا ما مستقلا عن المادة بحيث يقول هذا حيز طائر في الجو أو طائرة أو سحابة دون أن يكون ثمت شئ من ذلك ..

فالحيز حقيقة علمية لا شك فيها ، لأن العقل يشهدها ملابسة للمادة . كما تبصر العين شخوص الأشياء العادية ، ولكنه حقيقة لا تدل على ذاتها بنفسها بل تدل عليها المادة .

هذا مثال للحقائق البديهية العلمية التي تلبس المادة ، ويشهدها العقل ملابسة لها ، فإذا قلنا : أن المادة وحدها وما يشهد فيها العقل والحواس من عناصر وخصائص وملابسات هي موضوع (فطرة التعلم) ، وإذا قلنا مع ذلك إن الحواس والعقل هما وسيلة تلك الفطرة ، وفصلها في تمحيض وتحرير ما يستخلص الإنسان من حقائق . فقد المينا بالأساس الذى لا يعتمد العلم سواه نهجا للمعرفة ، إذ ليس لنا فى غير الكون الشاخص للحس والعقل معا معتمد طبيعى للحق .

وبعد فترك فطرة التعلم ، وذلك مجالها ونهجها .. فهل حققت غايتها من التطابق بين عقل الإنسان وحقائق الكون ؟ ذلك ما سنعرض له فى المقال التالى ان شاء الله .

(١) مما يتسق مع كون البيوت للكن (والاستار قول النبي محمد عليه الصلاة والسلام) لو أن امرا طلع عليك بغير اذن فعذفته بحصاة ففقات عينه لم يكن عليك جناح) . وقول القرآن (ليسأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) .

(٢) من شواهد اللغة عندنا - على ذلك أن البدوي يسمى بيئته (الخباء) ومنه خبا الشئ أى ستره ، والخباء ما يعمل من وبر أو صوف للسكن ، وليس فى ذلك ما يتصل بمعانى مدافعة الجو .. ذلك الى أن البيت أصلا مصدر بات يبيت وهو متصل أو ملابس لليل ، وفيه معنى الستر ولما رأى العربى فى مسكنه حقيقة الستر الدائم أطلق عليه كلمة بيت ، فصارت اسمها له ، كان سدول الليل التي لا تنفذ منها الابصار نفسية كل أن فلا تقتحمها نظرة فضول ليل أو نهار .. وليس فى تلك اللغات والحركات الفعلية والنفسية ما ينظر الى هجمات جو ، لأن سدول الليل مقصورة على رد عوادى النظر لا عوادى الجو من أى نوع .

فليَنظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للككتور: محمد سلام مكرور

خير هاد ومرشد للحق وموجه
للإنسان الكامل

وستتناول في مقال هذا العدد :
تنوع الآيات التي أشارت إلى خلق
الإنسان ، والسلس تكوينه ، وكيف
خلق الله الإنسان الأول من الطين ،
وقدرة الله على خلق بعض أفراد
البشر على غير ما جاء في هذا النص
الكريم .

الآيات القرآنية الكريمة التي
أشارت إلى خلق الإنسان عديدة
ومختلفة ،

منها ما تناول خلق الإنسان الأول
الذي انتهى عنده البشرية ، ومنها
ما تناول الخلق نتيجة التزاوج ،

صلة الإنسان بالطين

بيننا في المقال السابق المنشور
بالعدد رقم - ٦٥ - جماد الأول
سنة ١٣٩٠ هـ

الصلة الوثيقة التي بين الإنسان
وبين أمه الأرض ، وتمييز الإنسان عن
كل ما في الأرض من كائنات يجعله
خليفة لله في الأرض ، وسر هذه
الخلافة ، وأن هذه النظرة في خلق
الإنسان وتطور مراحلها جنينا دفعت
البعض قديما إلى الاعتراف بوجود
قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ،
وأن العلم لم يصل إلى الحقائق التي
جاء بها القرآن في شأن تطورات
الجنين في الرحم إلا في قرون متأخرة
جدا ، وأن الكشف عن هذه الحقائق

الى يوم القيامة : رطب ، ويايس ، وسخن ، وبارد . غالله خلق آدم من تراب وماء ، وجعل فيه يسا ورطوبة . غيبوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح .

والواقع ان الروح الانسانية هو ذلك المعنى الذى ميز الله به الانسان على غيره من الاجناس حتى الملائكة الذين امرهم الله ان يسجدوا لآدم اذ نفخ فيه من روحه فان جمهور المحققين على ان خواص البشر افضل من خواص الملائكة لانهم يطيعون الله لا عن جبلة ، وانما يطيعونه عن رياضة وجهاد حتى تصفو نفوسهم ، وأما عوام البشر فان عوام الملائكة افضل منهم لانهم اقرب الى الله طاعة واكثر منهم عبادة يقول المز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ « اختلف الناس فى التفصيل بين الملائكة والبشر ، ولا شك ان الملائكة من حيث اجسادهم افضل واشرف من اجساد البشر ،

وأما باعتبار الأرواح فان روح الانبياء افضل من عدة وجوه .. » .

ولقد نفخ الله الروح فى آدم على ذلك الوجه الخارق ، ثم شاء الله أن يجعل لاعادة النشأة الانسانية طريقا معيناً هو طريق التوالد نتيجة التقاء الذكر والانثى واجتماع البويضة التى يغرزها مبيض الانثى بالحيوان المنوى الذى يغرزها الرجل اجتماعاً يتم فيه تلقيح البويضة وتكون أداة لبدء التكوين الجنينى . وقد مضى مالوف الناس على قاعدة التزاوج والتناسل بالتصوير فى الأرحام كيف شاء الله على السنن التى افقتها البشرية « فيهب لمن يشاء أثاثاً . ويهب لمن

والحمل ، والتوالد ومن ذلك قوله تعالى (١) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق » . وقوله جل شأنه (٢) : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

ومنها ما تناول الامرين معا فنبه الانسان الى أصل خلقه من الأرض المينة ، ثم التوالد من نطفه مستقطرة او مستقلة من جسم الحى يقول الله سبحانه (٣) : « الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » . ويقول جل شأنه وعظمت قدرته (٤) : « هو أعلم بكم اذ أنشاكم من الأرض واذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » .

أما الآيات التى اشارت الى خلق الانسان الاول والى ربط الانسان بالأرض وبيان صلته بالتراب والماء فانها بينت ان الانسان خلق من مادة البناء الاولى وهى عناصر الأرض يقول الله سبحانه (٥) : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .. » .

ويعصور موقف ابليس من خلق آدم وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا جميعاً الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين فيقول الله (٦) . « ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ؟ قال : انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

وينقل النويرى فى كتابه نهاية الارب (٧) عن وهب بن منبه انه قال : قرأت فى التوراة ان الله عزوجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثه فى ولده تنمو فى جسدكم وينمون عليها

يشاء الذكور » ويهب لمن يشاء
الجنسين ويجعل من يشاء عقيبا .

والآيات التى أشارت الى خلق
الإنسان . تدل على جملة على أن
التراب ، والطين هو أول طور من
أطوار الإنسان على معنى أنه أصل
للغذاء الذى هو مادة تلك النطفة
فإن مادتها ترجع الى التغذى من
النبات الذى تنبت فى الأرض على أى
صورة كان تناول ذلك النبات ، ومن
الحيوان الذى عاش وتغذى على
ذلك النبات . فمكونات التربة الأرضية
غذاء للإنسان بطريق مباشر أو غير
مباشر .

ومن المفسرين من يرى أن التراب
المقصود فى آيات تكوين الإنسان
هو التراب الذى نشأ منه الأب الذى
هو أصل الإنسان آدم عليه
السلام ولا كلام فى أنه المادة الأولى
التي تكون منها الإنسان الأول ثم
تناسلت ذريته منه . ومهما يكن فإن
التراب هو الأصل فى تكوين الإنسان
فى مادته الأولى التى كان منها
بلا واسطة وهى « آدم » وفى أفراد
المتناسلة أيضا ، وبذا يكون معدن
الإنسان من التراب ، والطين ، ويكون
مرد هذا الإنسان الى التراب فمن
الأرض نشأنا واليه نعود . انظر
قول الله تعالى (٨) « ولقد خلقنا
الإنسان من صلصال من حمأ
مسنون » . والصلصال كما فى كتب
اللغة . الطين اليابس الحر المخلوط
بالرمل . . . وانظر قوله جل شأنه (٩)
« هو الذى خلقكم من طين »
وقوله (١٠) . « يا أيها الناس ان
كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب » .

وقد أثبت العلم أن هناك تشابها
بين المواد التى يتكون منها الطين

والمواد التى يتكون منها الإنسان .
فالطين كما يقول المتخصصون فى علم
طبقات الأرض يحتوى على مواد
معنوية مثل الحديد ، والفسفور ،
والكاليوم والنحاس وغير ذلك .
ومواد عضوية أساسها النباتات
والحيوانات الحقيقية التى فتت
وتحلل وتمزج مع المواد المعدنية
الموجودة فى الطين والتى جلبتها
الأمطار من الجبال ، والصخور ،
والمرتفعات .

وقال المتخصصون فى علم
الحيوان: أن جسم الإنسان يحتوى
على كميات ونسب معينة من المواد
التي يتكون منها الطين مما يقطع
بقوة الصلة بين الإنسان وبين الطين
ويجعلنا نؤمن عن اعتقاد صادق بأننا
من سلالة من طين وأن الإنسان خلق
من صلصال .

ويجعلنا نؤمن بحق بقرآنية هذا
الكلام وأنه من عند الله . فما كان
محمدا صلوات الله وسلامه عليه
بالمختص فى علم طبقات الأرض
ولا عنده من الأجهزة ما يمكنه من
معرفة تراكيب الإنسان ومعدنه بل
لم يكن عرف الجنس البشرى هذه
الأجهزة وتلك الحقائق .

وبعد اثبات هذا التشابه فى
التركيب بين عناصر الإنسان والأرض
يظهر بوضوح بطلان النظريات
العلمية القديمة التى اتجهت الى أن
الكائنات الحية نشأت هكذا من نفسها
بطريق التوالد الذاتى من مواد
الأرض ، والتى اتجهت الى أن المادة
الحية قد وصلت الى الأرض بطريق
الصدفة عن بعض الأجسام الأخرى
الموجودة فى الفضاء ومن حقنا أن
نتساءل كيف نشأت الحياة فى هذه
الأجسام الأخرى الموجودة فى الفضاء

ومن الذي صنع هذا التوالد الذاتي وأوجد هذه الخاصية فيه . لابد أنه قوة عليا فوق طاقة هذه الحياة . لابد أنه الله خالق كل شيء ، وصدق الله فيما أخبر به .

وواضح أن أساس ما تناولوه بالكتابة في هذا الموضوع هو الإنسان الناشئ عن التوالد . الإنسان الذي خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . فلا يدخل في موضوعنا ما خرج عن دائرة الجنين مما هو معروف من آيات الله في خلقه غير خاضع لنظام التطوير . فهذا الخلق الأول الذي اشرنا اليه آية من آيات الله التي لا ترتبط بهذه السنن التي نحاول عرضها على القارئ الكريم ليثبت عقيدته ويقوم خلقه ويطنن كل الأطنان إلى أنه على حق في عقيدته الإسلامية وأن الله حق وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا وأن الله على رجهه لقادر ، وأنه محاسب على ما قدمت يداه .

كما أن خلق الأم الأولى للبشرية ليست مما يتصل بموضوعنا لأنها ما كانت من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، وإنما خلقها الله كما شاء على مقتضى قدرته وحكمته وكما يقول (١١) : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » وكما دلت عليه السنة النبوية الكريمة فلم يكن ، عجيبا بالاضافة إلى قدرة الله أن يكون الذكر وعاء للأنثى وظرفا لخلقها وتكوينها .

وكذلك خلق المسيح عليه السلام من أمه البتول العذراء مريم لم يكن في نظام هذا التطوير الذي نحاول عرضه على قراء مجلة الوعي

الإسلامي ، وإنما كان آية من آيات الله وقعت على وجه الإعجاز من غير خضوع لسنن الكون وأطواره لقول الله سبحانه (١٢) : « وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت . انى أعوذ بالرحمن منك أن كنت تقيا . قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت : انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعل له آية للناس ... » .

وسواء قلنا أن حمل المسيح عيسى ووضعها كان في ساعة واحدة كما ينقل الألويسي في كتابه (١٣) ، أو في مدة الحمل الطبيعي ، أو دونه بقليل كما يقول بعض آخرون فهو شيء لم يخضع لنظام التوالد الذي نقصر بحثنا هنا عليه تبعا للآية التي ندور في ملكها « فلينظر الإنسان مِم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

هذا وقد بين لنا الله جل شأنه وعظمت قدرته أنه قسم خلق الإنسان في أقسام ثلاثة وأضاف إليها إرادته العظمى في بعض الأفراد كما يقول سبحانه (١٤) « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقبا إنه عليم قدير » فانظر كيف قدم الله سبحانه عرض هذه الأقسام بأن له ملك السموات والأرض مما يدل على أن له أن يتصرف بمقتضى ملكه بما يشاء ويحقق أى قسم من هذه الأقسام بقوله : « إنه عليم قدير » . ليدل على أن كل هذه الأحوال كما أنها خاضعة لتبنيته . فهي غير جارية على مطلق الاستبداد بالأمر وإنما هي على وفق

فهذا التحويل الالهي من العقم الى الانجاب شىء من آيات الله التي لا تتصل بالسسن الكونية ونظامها المعهود مع ما فيه من دلالة واضحة على قدرة الله الخارقة وأنه اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . وهو ان اتصل بموضوعنا فانه لا يتصل به من ناحية ما فيه من اعجاز تتمثل في نتاجه بعد عقم وانما يتصل به من خضوعه للسسن الكونية والتطورات التي يمر بها الجنين بعد ان من الله عليه بذلك الانتاج . ولذلك فان العقم ليس من موضوعنا هنا ايضا وانما يقتصر كلامنا على الانسان الطبيعي ومراحل تطويره في الرحم من بدء تكوينه حتى ولادته .

والى لقاء في مقال آخر لنبدأ الكلام فيه عن أطوار الجنين في الرحم التي يشير اليها قول الله تعالى (١٩) : « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث .. » .

علمه الدقيق الحكيم وبمقتضى قدرته . ولهذا فان الله قد يخرق العادة لبعض خلقه ممن وقع في العقم كما وقع ذلك لسيدنا ابراهيم الخليل وزوجته سارة فقد كانت امراته عجوزا ، عقيما وكان هو شيخا كبيرا كما يقول سبحانه (١٥) في قصة سارة وقد بشرتها الملائكة بالولادة حكاية عنها . « قالت ياويلتنا االد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب » . ويقول في موضع آخر (١٦) . « فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم . قالوا : كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » .

وكما قلنا زكريا وزوجه فيما يقصه الله علينا بقوله (١٧) : « قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر » ويقول سبحانه (١٨) حكاية عنه : « انى يسكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

- (١) سورة الملق آية ٢/١ .
- (٢) سورة المائدة آيات ٧/٥ .
- (٣) سورة السجدة آية ٨/٧ .
- (٤) سورة النجم آية ٣٢ .
- (٥) سورة آل عمران آية ٥٩ .
- (٦) سورة الاعراف آية ١٢ .
- (٧) سورة طه آية ٧ طبع دار الكتب بالقاهرة .
- (٨) سورة الحجر آية ٢٦ .
- (٩) سورة النعام آية ٢ .
- (١٠) سورة الحج آية ٥ .
- (١١) سورة النساء .
- (١٢) سورة مريم آيات ١٦ - ٢١ .
- (١٣) روح المعاني ج ١٦ ص ٧٩ .
- (١٤) سورة الشورى ٤٩ - ٥٠ .
- (١٥) سورة هود آية ٧٢ .
- (١٦) سورة الذاريات آية ٢٩ - ٣٠ .
- (١٧) سورة آل عمران آية ٤٠ .
- (١٨) سورة مريم آية ٨ .
- (١٩) سورة الزمر آية ٦ .

نشأة الفقه

الاسلام

وأصول مذهبيه

تطور الفقه ومنهج اتباع التابعين

تطور الفقه الاسلامي امر ضروري تتطلبه حياة الأمة التي تتجدد من زمن لآخر بمطالباتها وحوادثها تلك الحوادث التي لا يمكن حصرها على مدى العصور ، ولن يتأتى أن يكون لكل حادثة منها نص في كتاب الله أو سنة رسوله ، ولهذا تدعو الحاجة الى الاستنباط والاجتهاد لمعرفة حكم ما جد من حوادث ، وفي هذا يقول الشهرستاني (وبالجملة نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا أنه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ، ومالا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى -علم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد) .

وقد هذا اتباع التابعين حذو أسلافهم من الصحابة والتابعين في فقه ما جد من حوادث معتبرين في ذلك على ما نقل اليهم من أقوال هؤلاء السلف بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم أقرب الى عهد النبوة وأصدق فيها للقرآن (وما استنبطوه من احكام ينبغى أن يكون موضع اهتمام الا اذا اختلفوا فيها بينهم ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولهم مخالفة ظاهرة) .

وهذا النهج الذي اتبعه اتباع التابعين هو طريق السداد الذي تقتضيه الأمانة العلمية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » .

مؤلفات الإمام محمد باقر الطوسي

للأستاذ : مناع القطان

وكان اختلاف آراء الصحابة والتابعين في المسألة الواحدة حافظاً لاتباع التابعين على البحث في مرجع هذا الاختلاف وتمحيص الرأي فيه ، وأدى هذا الى اغساح المجال للاختيار وان تأثر علماء كل بلد بشيوخهم السالفين .

المدارس الفقهية للأئمة

كان من آثار استقرار عدد كثير من الصحابة في الأئمة الإسلامية أن نشأ في كل مصر منها مدرسة تولاهما بآديء الأمر الصحابة بأنفسهم ، ثم خلفهم اتباعهم الذين ورثوا عنهم فقههم ورووا فتاواهم وانتقل الأمر الى أتباع التابعين على هذا النمط .

١ — فقهاء المدينة السبعة المشهورون انتقل الفقه من بعدهم الى نافع مولى عبد الله بن عمر ، وأبي بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ويحيى بن سعيد ابن قيس الأنصاري ، وأبي الزناد عبد الله بن يزيد بن هرمز ، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن مولى بني تيم من قريش وهو المعروف بريبعة الرأي ، ثم انتقل الفقه بعد ذلك الى عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن إسحاق بن مالك بن أنس ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، والإمام مالك بن أنس .

٢ — وفي مكة انتقل فقه التابعين فيها من تلاميذ ابن عباس : عطاء بن أبي رباح ، وطاوس بن كيسان ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وعكرمة الى أبي الزبير المكي ، وعبد الله بن طاوس ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وسفيان ابن عيينة — ثم الى مسلم بن خالد بن سعيد الزنجي — ولقب بذلك لحمرته — وسعيد بن سالم القداح ثم الى محمد بن إدريس الشافعي .

٣ — وفي الكوفة انتقل الفقه من كبار التابعين علماً بن قيس النخعي ،

والأسود بن يزيد النخعي وشريح بن الحارث الكندي القاضي وأبى ميسرة عمر بن شرحبيل الهمداني إلى إبراهيم النخعي ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير — ثم إلى حماد بن أبى سليمان ، وسليمان الأعشى ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وشريك القاضي النخعي وسفيان بن سعيد الثوري ، وأبى حنيفة النعمان بن ثابت .

٤ — وفى البصرة — انتقل الفقه من الحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبى بردة بن أبى موسى الأشعري وجابر بن زيد أبى الشعثاء — إلى أيوب بن كيسان ، والقاسم بن ربيعة ، وأياس بن معاوية القاضي ثم إلى عبيد الله بن الحسن العنبري ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد .

٥ — وفى الشام انتقل الفقه من أبى إدريس الخولاني وقبيصة بن ذؤيب الخداعي ، وسليمان بن حبيب — إلى عبد الرحمن بن جبير ، ومكحول وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة وعبد الملك بن مروان — الذى كان يعد من الفقهاء قبل أن يلى الخلافة — ثم إلى سعيد بن عبد العزيز والعباس بن يزيد وأبى إسحاق الفزاري صاحب ابن المبارك ويحيى بن حمزة القاضي ، وأبى عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الأزاعي .

٦ — وقدم إلى بغداد بعد أن بناها المنصور عدد كثير من الأئمة والمحدثين ، وكان من فقهاء أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد السكلي صاحب الشافعى ، ثم كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل .

٧ — وفى مصر انتقل الفقه إلى يزيد بن حبيب ، وبكير بن عبد الله بن الأشج ، وعمرو بن الحارث ، ثم انتقل فقه هؤلاء إلى عالم مصر أبى الحارث الليث بن سعد الذى كان معاصراً للإمام مالك — ثم إلى عبد الله بن وهب ، وأشب ، وابن القاسم من أصحاب مالك ، والمزنى ، وابن عبد الحكم والبويطى من أصحاب الشافعى .

٨ — كما نشأ فى المدن الأخرى المفتوحة كثير من الفقهاء ، فكان بالقيروان سحنون بن سعيد وسعيد بن محمد الحداد . وكان بالاندلس يحيى بن يحيى ، وعبد الملك بن حبيب ، ومنذر بن سعيد ، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ،

وكان باليمن وهب بن منبه الصنعاني ، ويحيى بن أبى كثير ، ومطرف بن مازن قاضى صنعاء ، وعبد الرزاق بن همام ، وسماك بن الفضل .

وهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا فى الأمصار الإسلامية المختلفة كانوا جميعاً يتصدون للفتيا ، دون أن يقلد أحدهم الآخر ، وإن أخذ فقهاء كل مصر عن شيوخهم السابقين ، يقول ابن حزم « ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كابى حنيفة ، وسفيان ، وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان التيمي ، وسوار بالبصرة والأوزاعي بالشام ، والليث بمصر ، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها » ، وقد ذكر الخضرى هذا المعنى فقال « ولم يكن عرف بين الناس الانتساب إلى فقيه معين يعمل بما ذهب إليه من رواية أو رأى وإنما كان هؤلاء المفتون فى الأمصار المختلفة معروفين بالفقه ورواية الحديث ، فكان المستفتى يذهب إلى من شاء منهم فيسأله عما نزل به فيفتيه ، وربما ذهب مرة أخرى إلى مفت آخر ، وكان القضاة فى الأمصار يقضون بين الناس بما

يفهمونه من كتاب الله أو سنة رسوله أو رأى أن ظهر لهم ، وربما استفتوا من بلدهم من الفقهاء المعروفين ، وربما أرسلوا إلى الخليفة يسألونه . كما حصل كثيرا في عهد عمر بن عبد العزيز .

أسباب الاختلاف بين الأئمة في صدر هذه الأمة .

أولا : الظاهرة البشرية : فمما لا شك فيه أن الناس بشر ، وإن هؤلاء الأئمة يعرض لهم الخطأ والنسيان ، وليست هناك عصمة فيما طريقته البلاغ إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نجد الرجل يحفظ الحديث ثم ينساه ، ولا يحضره ذكره عند الفتوى ، فيغتنى بخلافه ، بل ربما عرض هذا في آيات القرآن الكريم ، وآية ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب على المنبر وأمر ألا يزداد في مهور النساء مذكرته امرأة يقول الله تعالى « **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحدىكم قطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » فترك قوله وقال — كل أحد افقته منك يا عمر — امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ .

وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر ، فذكره على يقول الله تعالى « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » مع قوله تعالى « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** » فرجع عن الأمر برجمها .

ثانيا : أن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة في الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند كل واحد منهم من العلم بما ليس عند الآخر ، وفيهم المقل وفيهم الأكثر ، وقد تفرق هؤلاء وأولئك في الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية ، فإذا عرضت قضية في مصر منها نظر الصحابة الحاضرون فيها ، فإن وجدوا أثرا عن النبي صلى الله عليه وسلم حكموا به ، والا كان الاجتهاد ، وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم لدى صحابي آخر في بلد آخر ، ولهذا أمثلة كثيرة .

١ — فقد كان حكم التيمم عند عمار وغيره ولم يعلمه عمر وإن مسعود فقال لا يتيمم الجنب .

٢ — وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى ، وعند أبي سعيد ولم يعلمه عمر .

٣ — وكان حكم تحريم المتعة والحرر الأهلية عند علي وغيره ، ولم يعلمه ابن عباس .

٤ — وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم ، ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت .

٥ — وكان حكم أخذ الجزية من المجوس عند عبد الرحمن بن عوف ، ولم يعلمه عمر وجهور الصحابة .

٦ — وكان حكم أجلاء أهل الذمة من بلاد العرب عند ابن عباس وعمر ، فنسبه عمر سنين ، ثم ذكر فذكر فأجلاهم .

ثالثا : أن بعض النصوص قد يبدو في ظاهرها التعارض ، فيجتهد فيها أحد هؤلاء الفقهاء وهو مجبور أصاب أم أخطأ ، فيميل إلى ترجيح أحد النصين على الآخر ، بينما يميل غيره إلى ترجيح هذا الآخر لرجح لديه .

كما روى عن عثمان في الجمع بين الاختين قال : حرمتها آية ، واحلتها

آية ، وكما مال عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب لقوله تعالى « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** » وقال لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربي ، وغلب ذلك على الإباحة المنصوصة فى الآية الأخرى « **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب** » .

المذاهب الفقهية المشهورة وأصولها

تحدثنا آنفا عن المدارس الفقهية ، وذكرنا أئمة الفقه فى كل مصر ، ولكن بعض هؤلاء الأئمة قد وجد أتباعا يعملون على ذبوعه وانتشاره ، فكان مذهبهم أوفر حظا ، وتتابع الأخذ به والتفريع عنه حتى صار مذهباً مشهوراً ، ، بينما لم يجد الآخرون مثل هذا الحظ فأصبح فقههم منثوراً فى بطون الكتب ، ولم يتيسر لهم من الأتباع من ينشر مذهبهم ، فالأئمة الأربعة المعروفون لم يكونوا جميعاً أحق بالخلود من آخرين كالإوزاعى إمام أهل الشام ، وسفيان الثورى الذى قال فيه ابن عيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من الثورى ، والليث بن سعد إمام أهل مصر ، وصديق الإمام مالك الذى قال فيه الشافعى هو أفتى من مالك إلا أن أصحابه لم يقيموا به ، وغير هؤلاء كثير ، وسوف نقصر هنا على بيان أصول المذاهب المشهورة أجمالاً بما يعطينا فكرة عن كل مذهب منها .

١ - أبو حنيفة

تركزت مدرسة أهل الكوفة أو أهل الراى فى أبى حنيفة ، ويمكن إجمال أصول مذهبهم فيها يأتى :

١ - التشدد فى قبول الحديث :

كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث ، ويثبت من صحة روايتهم فقد لا يقبل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اذا رواه جماعة عن جماعة ، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به فأصبح مشهوراً ، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث ، وقد نقل الشافعى فى الأم عن أبى يوسف ما يوضح خطته وخطة أبى حنيفة شيخه فى ذلك قال أبو يوسف (فعليك من الحديث مما تعرفه العامة ، وإياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبى كريمة عن أبى جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصمد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال (**ان الحديث سيفشوا على فما آتاكم عنى يوافق القرآن فهو منى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى**) وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بشاهدين ، وكان على بن أبى طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله والرواية تزداد كثرة ويخرج منها ما لا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فأياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث ، وما يعرفه الفقهاء ، فقتس الأشياء على ذلك فما خالف القرآن فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان جاءت به الرواية فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك إماماً وقائداً ، وأتبع ذلك وقس عليه مايرد عليك مما لم يوضح لك فى القرآن والسنة .

٢ - التوسع فى القياس

وحيث ضاقت دائرة الأخذ بالحديث كان التوسع فى الأخذ بالقياس ، وهكذا كان أبو حنيفة يعمل رأى فى المسألة ، ويجتهد فى استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابية أو التابعين مالم يتبين له صحة نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عنه أنه قال (انى أخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدي الثقات ، فإذا لم أجده فى كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر الى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلى أن أجتهد كما اجتهدوا) .

٣ - الاستحسان

يعتبر الاستحسان من أصول الأدلة فى مذهب أبى حنيفة وإن بالغ فى الأخذ به بعض العلماء الاحناف فقالوا : أن المجتهد له أن يستحسن بعقله إلا أن المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلى الذى تسبق اليه الافهام .

٤ - الحيل الشرعية :

ينسب كثير من الباحثين الى فقه أبى حنيفة الحيل الشرعية ، وإنها كانت بابا واسما من أبواب الفقه فى مذهبه ، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل فى كتابه (أعلام الموقعين) وشنع على من توسع فيها وقال (أن المتأخرين أحدثوا حيلة لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة ، ونسبوا الى الأئمة وهم مخطئون فى نسبتها اليهم) . وأكثر ما ينسب الى أبى حنيفة من ذلك أفتى به فى مسائل تتعلق بالإيمان عامة وبالطلاق خاصة ، وليس فيها تحليل على إبطال حق ، ولكنها استنباط فقهى للخروج من مأزق كان يحلف رجل ليقرب امرأته نهارا فى رمضان فيفتيه أبو حنيفة أن يسافر بها فيقربها نهارا فى رمضان ، ويحلف آخر وقد رأى امرأته على السلم فيقول : أنت طالق ثلاثا أن صعدت ، وطالق ثلاثا أن نزلت ، فيفتيه أبو حنيفة أن تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل ، ويحتال جماعة يحملون السلم بالمرأة فيضعونها على الأرض وهكذا .

٢ - مالك :

كما تركت مدرسة أهل الراى فى أبى حنيفة تركت مدرسة أهل الحديث فى مالك رضى الله عنه ومن أصول مذهبه .

١ - الاهتمام بالحديث :

اهتم مالك بالحديث ولم ينهج نهج أبى حنيفة فى تضييق دائرته ، واشترط

شهرته مع تحرى صحة السند ، وكان يقول لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب فى احاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به .
وقد جمع مالك فى كتابه (الموطأ) ما صح من الاحاديث والاخبار لديه ، واعتبره أساساً لمذهبه .

٢ — عمل أهل المدينة :

ذهب مالك الى ان المدينة هى دار الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام صحابته ، وأهل المدينة أعرف الناس بالتبذل ، وبها كان من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحى ، وهذه ميزات ليست لغيرهم ، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون اليه ، فيكون عملهم حجة يقدم على القياس ، وعلى خبر الواحد ، وفى كتاب الامام مالك الى الليث بن سعد « ان الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .

٣ — قول الصحابى :

ويرى مالك فى مذهبه انه اذا لم يرد حديث صحيح فى المسألة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فان قول الصحابى اذا لم يعلم له مخالف يكون حجة ، وقد ضمن موطأ العديد من اقوال الصحابة والتابعين ، فالصحابا أعلم بالتأويل ، وأعرف بالمقاصد لأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله ، فقولهم أولى بالاخذ يخص به العام ، ويترك لأجله القياس .

٤ — المصالح المرسلة :

والعمل بالمصالح المرسلة أساس من الاسس التى اعتمد عليها مالك فى مذهبه ، وهى جلب منفعة او دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بابطال ولا باعتبار معين ، لأن تكاليف الشريعة ترجع الى حفظ مقاصدها فى الخلق ضرورة كانت أو حاجة أو تحسينية ، **والضرورة** : هى التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا فى الضروريات الخمسة الثابتة فى الملل جميعا وهى حفظ الدين والنفس والنسل والمال والمعتل .

والحاجة : هى التى تؤدى الى رفع الضيق والحر والمشقة .

والتحسينية : هى المتعلقة بكارم الاخلاق ، وكون هذه المعانى مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة مما يدل على مقاصد الشرع ، ولذا ذهب مالك الى ان هذه المصلحة تكون حجة .

٣ — الشافعى :

١ — المنحى الوسط :

كانت رئاسة الفقه قد انتهت فى العراق الى أبى حنيفة ، وفى المدينة الى

مالك بن أنس ، وقد لازم الشافعي مالكا ، واخذ عنه كما أخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، فاجتمع اليه علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث . وانتهى مذهبا وسطا أصل أصوله ، وقعد قواعده .

خالف أبا حنيفة في تقديم القياس على خبر الآحاد ، ودافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد ، ما دام رواية ثقة ضابطا ، وما دام الحديث متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشترط شهرته كما اشترط أهل العراق كما أنكر على أهل الرأي العمل بالاستحسان ، وخالف مالكا في حجية عمل أهل المدينة ، والقول بالمصالح المرسلة .

٢ - أساس مذهبه :

دون الشافعي أساس مذهبه في رسالته الأصولية فهو يحتج بظواهر القرآن ، ثم بالسنة ، ثم بالأثر الصحيحة ، ثم يعمل بالإجماع عند عدم العلم بالخلاف ، فإن لم يكن هناك دليل مما سبق عهد إلى القياس فعمل به ، مشروطا أن يكون له أصل معين يقول في رسالته (أن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار ، ثم القياس عليها ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها ، وهي العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأديه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ، ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن ، وأتاول السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه ، ولا يعجل بالتقول به دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتبته بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد تثبتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك) .

٤ - أحمد بن حنبل :

أصول مذهبه :

فقه السنة : أخص ما يتميز به مذهب أحمد أنه يقوم على فقه السنة ، ولذا فإنه يعد من كبار المحدثين ، وقد ذكر ابن القيم أن فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على خمسة أصول نجمها فيما يأتي :

١ - أحدها النصوص :

فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت إلى ما خالفه ، ولا من خالفه كائنا من كان ، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا .

وثانيها :

فتاوى الصحابة أي ما أفتى به الصحابة إذا وجد لبعضهم فتوى لا يخالفه فيها أحد منهم ، ولم يقل الإمام أحمد أن ذلك إجماع ، بل كان يقول تورعا لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو ذلك .

وثالثها :

الاختيار من فتاوى الصحابة اذا اختلفوا فانه يتخير من اقوالهم اقربها الى الكتاب والسنة .

ورابعها :

الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يجد في الباب اثرا يدفعه ولا قول صاحب فان العمل به عنده أولى من القياس .

وخامسهما :

القياس للضرورة فاذا لم يكن عنده في المسألة نص ولا قول للصحابة او واحد منهم ، ولا اثر مرسل او حديث ضعيف عدل الى القياس فاستعمله للضرورة .

الظاهرية :

كانت العراق قاعدة اصحاب الراي ، ولكننا نرى في مطلع القرن الثالث الهجري رجلا يولد بالكوفة (٢٠٠ — ٢٧٠ هـ) وينشأ ببغداد ، ويأخذ العلم عن اسحاق بن راهويه ، وأبي ثور ، ويدرس مذهب الامام الشافعي ، ويتمصب له ، ويصنف في مناقبه ، وتنتهي اليه رئاسة العلم ببغداد ، ثم يستقل بمذهب جديد على النقيض من مذهب اصحاب الراي ، فينكر القياس ، ويرى أن عموم النصوص من الكتاب والسنة تكفي لبيان الأحكام ، لأن القول بالقياس تشريع عقلي ، والدين الهى ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والسنة ، ولهذا يجب أن نتقيد بظاهريهما الا اذا قرن النص بعلّة الحكم ، وقد قال الله « **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله** » ولم يقل الى الراي والقياس .

ذلك الرجل هو ابو سليمان داود بن علي بن خلف الاسبهاني ، المعروف بالظاهري .

وقد اتبع مذهب الظاهرية كثير من الناس في فارس والاندلس ، ومن اشهر رجاله ابو الحسن عبد الله بن احمد بن محمد المغلس ، وأبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ، ومن أمثلة ذلك في فقههم .

١ — أن الاسلام حرم الربا وقال صلى الله عليه وسلم « **الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتبر بالتبر والملح بالملح** مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » .

وقد ذهب عامة الفقهاء الى أن الحرمة لا تقتصر على هذه الأنواع الستة بل تتعداها الى غيرها قياسا ما وجدت العلة واختلفوا في علة المطعومات ١ — فقال جماعة أن علة تحريم الربا في المطعومات الكيل والوزن وعلى هذا جرى الربا في كل مكيل أو موزون بيع بجنسه مطعوما كان أو غير مطعوم .

٢ — وقالت طائفة : العلة كونه مطعوما فيحرم الربا في كل مطعوم قوتا كان أو فاكهة أو دواء .

٣ — وذهب قوم الى ان العلة كونه طعاما مكيلا أو موزونا .

٤ — وقال آخرون العلة الاقتيات والادخار أى كون الطعام مقتاتا مدخرا .

أما الظاهرية الذين لا يأخذون بالقياس فلم يوافقوا على هذا ، وقصروا الربا على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث ، وقالوا ان الشارع خص من المكيلات والمطعمات والاقتوات أشياء أربعة — فلو كان الحكم ثابتا فى كل المكيلات أو فى كل المطعمات لقال مثلا :

لا تتبعوا المطعم بالمطعم متفاضلا بالنص على علة التحريم ، فان هذا الكلام يكون أكثر اختصارا وفائدة ، فلما لم يقل ذلك ، بل عد الأربعة علمنا ان حكم الحرمة مقصور عليها .

٢ — وذهب الائمة الأربعة الى ان حد الأمة اذا زنت خمسون جلدة بكرا كانت أو ثيبا ، أما الثيب فلقوله تعالى « **فاذا أحصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** » والمراد بالعذاب الجلد لأن الرجم لا يتجزأ ، وأما البكر فلما فى الصحيحين من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة اذا زنت ولم تحصن فقال « **اذا زنت فاجلدوها ثم ان زنت فابعدها ولو بضفير** » .

وقال داود — على الأمة نصف الحد اذا زنت وكانت محصنة لظاهر الآية وتجلد مائة اذا كانت بكرا لظاهر العموم فى قوله تعالى « **الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » وقد خرج من هذا العموم الأمة المحصنة بقوله تعالى « **فاذا أحصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات** » فبقى التى لم تحصن فى العموم .

هذه فكرة مججلة عن نشأة الفقه الإسلامى وأصول مذاهبه تصور لنا ذلك الجهد الذى بذله علماء هذه الأمة وأئمتها ، وكيف حرص هؤلاء المجتهدون على النظر فى شريعة الله ؟ واجهدوا قرائحهم فى معرفة أحكام ما جد من حوادث ، وقد خلفوا لنا تراثا فقهيا خالدا يتضمن من الشروح والتفسيرات ما يكشف عن ثروة شريعتنا وعظمة مبادئها ونمو قواعدها ، فهى شريعة حية لا ينضب معينها ، ولا يغيض ماؤها .

واليوم — وقد تكالبت على أمة الإسلام قوى الشر فى الشرق والغرب ، ونفتت سموم أفكارها وسحرت أعين الناس ببريق خداعها ، وتخلت أقطار إسلامية عزيزة عن تحكيم شريعة ربها ، وانسلخت عن تاريخ مجدها وولت وجهها شطر الغرب تارة ، والشرق أخرى — اليوم وقد وصلت أمتنا الى هذا الدرك تتطلع النفوس المؤمنة الواعية فى انحاء العالم الإسلامى الى يقظة جديدة تنفض عن كاهل أمتنا ركام هزيمتها ، وتعيد اليها ثققتها فى عظمة شريعتها وتتسق طريق الكفاح فى سبيل هذه القاية مجاهدة صابرة محتسبة حتى تحطم طواغيت الضلال والفساد « **الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا** » .

والإنسانية المعذبة التى تكتوى بنار الصراع الدولى فى عصر يسموه عصر المدنية تنتظر ساعة الخلاص مما أصابها من بلاء ، وعلى يد الجيل المسلم المجاهد فى كل بلد ترتقب الدنيا هذه الساعة لتقر عينها ويهدأ بالها فالإسلام كان — ولا يزال — سفينة نوح فى كل طوفان .

« ١ »

زيادتها وأسبقيتها

« ٢ »

عمومها وشمولها

« ٣ »

توازنها واعتدالها

« ٤ »

مراعاتها للحقوق
الإنسانية الأخرى

« ٥ »

جمعها بين
التشريع والتطبيق

مبادئ

اشرقت شمس الاسلام ، فى تلك
البقعة الصحراوية بين تهامة ونجد ،
وظلمات العصور الوسطى ، تسود
العالم شرقا وغربا ، فلا بصيص لاي
حق من حقوق الانسان ، ولا حرية
ولا اخاء ولا مساواة ، هنا أو هناك
.. عند العرب أو غيرهم ..

عند العرب :

١ — فالعرب تنكروا بجاهليتهم
الجهلاء لسائر هذه الحقوق ولا سيما
حق المساواة ، بين العربى والعربى
وبين العربى وغير العربى .. وقد
حاول كسرى أبرويز — وهو ملك
الفرس — أن يصهر الى النعمان بن
المنذر أحد ولاته الخاضعين لجبروته
وسلطانه ، ولكن النعمان أبى أن
يزوجه من ابنته (حرقه بنت النعمان)
فكبر ذلك على كسرى ، الذى استدعاه
الى (المدائن) عاصمة الفرس ، حيث
أمر بطرحه تحت أقدام الفيلة التى
صرعته شر صرع .. ولما حبرا
كسرى أن يظهر بابتنة هذا أنسرى
الصريع ، أباهها عليه هاتئ بن
قبضة ، الذى استودعه النعمان

ابنته قبيل سفره الى (المدائن) . . وانتهى الأمر بالعرب والفرس من جراء ذلك الى (موقعة ذي قار) (١) التي هي أول معركة انتصر فيها العرب على الفرس .

ويحدثنا مجد الدين بن الأثير ، أن أحد دهاتين الفرس ، حاول أن يتزوج عربية من قبيلة باهلة ، ولكن الباهليين أبوا عليه هذا « الشرف الرفيع لأنهم يرون نفوسهم — وأن كانوا من باهلة — أسى وأعظم من كل أعجى كائنا من كان . . فلا مساواة بين العربى والأعجى — ولا مساواة بين العربى من قریش مثلا والعربى من باهلة أو تيم التى قال فيها شاعرهم بيته المشهور مستخفا بها :

ويقضى الأمر حين تغيب « تيم » ولا يستأثرون وهم شهود

(عند بنى اسرائيل)

ب — والاسرائيليون كانوا يعتقدون فى نفوسهم أنهم « شعب الله المختار لأنهم من سلالة الابن البار بأبيه » سام بن نوح على حين أن الكنعانيين أبناء الابن العاق لأبيه « حام بن نوح » لم يخلقهم الله الا خدما واتباعا لهم ، استجابة لدعوة نوح على ابنه حام ونسله الكنعانيين . . مصداقا لما جاء فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

(وفى اليونان)

ج — واليونان القدامى ، كانوا يطلقون على غيرهم اسم « البربر » ويرون نفوسهم افضل الناس ، وذلك ما عبر عنه بأسلوبه الفلسفى المعلم الاول

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٥٠ ، ثم ، العقد الفريد ٣ : ١١٣ .

أرسطو — كما جاء فى كتاب (السياسة) . ثم عبر عنه عفا أو قصدا بأسلوبه التاريخى (هـ . ١٠ ل . ١) فشرح حيث قال ص ١١ من كتابه « تاريخ أوربا فى العصور القديمة » ما نصه « أننا معشر الأوروبيين أبناء هيلاس » وفى شرح هذه العبارة قال المترجمان لهذا الكتاب ص ١٥ « يطلق اسم (هيلاس) أو (جريكيا) ، على شتى البقاع التى استقر بها الإغريق قديما » .

(وفى الهند)

د — والبراهمة فى الهند وغيرها ، كانوا يعتقدون أن (براهما) قد خلقهم من فمه ، على حين أنه خلق سواهم من ذراعه ، أو من فخذه ، أو من قدمه فكيف يرضون المساواة بينهم وبين غيرهم ؟ وأين الفخذ أو الذراع فضلا عن القدم من الفم أعلى وأشرف الأعضاء ؟ وأين المنبوذون الخدم الاتباع ، من سادتهم البراهمة ؟ وأين الثرى من الثريا ؟

هكذا كان حق المساواة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، لا مكانة له ولا مكان وقت ظهور الإسلام ، الذى أعلن وطبق كل حق من حقوق الإنسان ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وللمرة الاولى فى تاريخ الإنسان .

(الإسلام وحده)

وبذلك أحزر الإسلام قصب السبق (والتقدمية) مع الاحاطة والشمول ، فى توازن واعتدال بين الحقوق والواجبات . حتى لا يجور حق على واجب ، ولا يطفى حق على حق آخر من حقوق الإنسان ، التى اعتبرها الإسلام كلا لا يتجزأ ، بل حلقة مفرغة لا يدرى : أين طرفاها ؟ ولا غنى لطرف منهما عن الآخر . واعتبرها فى تعاونها على إسماعد الإنسان ، كاليدى للإنسان ، والجناحين للطائر ، واليد الواحدة لا تصفق ، والجناح الواحد لا يحلق .

(حقيقة المساواة)

وماذا يعنى الإسلام بالمساواة ؟

لا يعنى بها المساواة بين الناس ، فى الملكات الشخصية ، والمواهب الطبيعية ، والاستعدادات الوراثية (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . .) مختلفين ومتفاوتين فى مواهبهم وقدراتهم وامكانياتهم ، والمساواة بينهم فى ذلك . هى عين المستحيل ، الذى عناه الفيلسوف الانجليزى الحديث (هكسلى) بقوله « ان أية محاولة للمساواة بين الناس مقضى عليها بالافئاق » ، وانما المستطاع تهيئة فرص متساوية للجميع ، لأن بعض الناس يولدون مبصرين ينظرون بعيدا ، وبعضهم يولدون عميانا أو ضعاف بصر ، على تفاوت طبيعى بينهم فى ذلك . . . » .

وانما يعنى الإسلام بالمساواة ، المساواة بين الجميع ، على اختلاف أديانهم واللوانهم وأجناسهم ، فى تكافؤ الفرص بينهم ، وفى إتاحة العمل الملائم لكل منهم .

وفى جزاء كل منهم على عمله خيرا أو شرا فى الدنيا والآخرة ، دون ما نظر الى الفوارق والاعتبارات التى تحيد بنا مراعاتها عن سواء المسبيل ، أو تميل بميزان العدالة المنشودة بعض أو كل الميل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ريك بظلام للعبيد) .

وهذه المساواة الإسلامية ، نستطيع أن نقسمها تقسيما تقريبا الى ثلاثة أقسام :

١ — مساواة اقتصادية ...

٢ — مساواة اجتماعية

٣ — ومساواة قانونية

أما المساواة الاقتصادية فابرز معالمها ما يأتى :

١ — المساواة بين الناس فى التمتع بحق بقاء الملكية الشخصية بقاء حقيقيا أو بقاء اعتباريا ، وقد اعتبر الإسلام حرمة هذه الملكية الفردية أعظم وأقدس عند الله من حرمة الكعبة البيت الحرام — كما قال عليه الصلاة والسلام — ما دامت هذه الملكية الشخصية لا تتجاوز الحدود المشروعة بالتضخم أو الاستغلال أو المضارة للمصلحة العامة ، التى يجعل الإسلام لها الاعتبار الأول .

٢ — والمساواة بينهم فى الانتفاع بالملكيات الجماعية ، التى لا يملكها ولا يصح أن يملكها شخص معين ، وإنما تملكها الشخصية المعنوية للجماعة أو الأمة أو الدولة أو الإنسانية ، شأنها فى ذلك تقريبا شأن الأرض والسما والشمس والقمر والهواء وما الى ذلك مما يدخل فى (المرافق العامة) التى أشير الى بعضها رسول الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى الماء والكلا والنار » وفى (١) رواية (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلا والنار) ، وفى سنن أبى داود أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما الشيء الذى لا يجوز منعه ؟ فقال الماء . قال وماذا أيضا ؟ قال الكلا فقال وماذا أيضا ؟ قال الملح ...

وفى حديث آخر أن رجلا يدعى « أبيض بن جمال » وفد من اليمن على رسول الله ، وطلب إليه أن يقطعه الملح الذى ببعض الجهات فى بلاده ، فأقطعه له رسول الله .. ولما خرج الرجل قال أحدهم يارسول الله أن هذا الملح بارض ليس فيها ماء ، ومن ورده من الناس أخذه وهو مثل الماء الجارى . فعاد الرسول وانتزع الملح من أبيض بن جمال ... وجعله من المرافق العامة التى ينتفع بها الجميع ... وفى تعليل ذلك يقول ابن قدامة فى كتابه (المغنى) ما نصه (لأن هذا الملح تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، فلم يجز أقطاعه) وفى القياس على الملح وما اليه يقول إمامنا الشافعى فى الجزء الثالث من (الأم) ص ٢٦٦ فى (باب أحياء الموات) (...) ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو مومياء أو حجارة ظاهرة

(١) انظر مصابيح السنة فى الحسان ، ثم انظر كتاب الأموال لابن سلام ص ٢٩٥ .

فى غير ملك لأحد فليس لأحد أن يتحجرها دون غيره ، ولا لسلطان أن يمنعه لنفسه ولا لخاص من الناس ، لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلا ، ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه من له سلطان كان ظلما . . » .

٣ — والمساواة بينهم فى امكانيات الفرص واتاحتها للحصول على المال ، بالجد والعمل ، دون ما انحراف عن سواء السبيل بالربا أو الرشوة أو الفس أو الاستغلال . . أو نحو ذلك من الوان اكل أموال الناس بالباطل ، أو الاخلال بأى حق من حقوق الأمة والجماعة ، مما يؤدى الى التفاوت الطبقي المدمر ، ويستحيل به رأس المال من عامل له اثره فى الانتاج العام ، الى غول يفترس المصلحة العامة ، ويفرض سيطرته ونفوذه عليها ، ووراء ذلك ما وراءه من الضرر والضرار « لا ضرر ولا ضرار » فى الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام . .

٤ — والمساواة بين جميع الولاة والحكام ، فى تحريم استغلال النفوذ والسلطان ، وهذا واجب الأمة حكومة وشعبا فى محاسبة هؤلاء الحكام أو الرؤساء المستغلين ، كما حاسب رسول الله ابن اللتيعة الأزدي عامله لجمع الزكاة ، وسأله عما معه من المال ، فقسمه الرجل قسمين قائلا : هذا لكم . . وهذه هدايا أهديت إلى . . فظهر الغضب فى وجه رسول الله ، وقام وخطب الناس قائلا — كما روى البخارى وغيره . . . « ... أما بعد . . فانى أستعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت إلى . . فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر : أيهدى إليه أم لا ؟ » وكما حاسب عمر بن الخطاب أبا هريرة عامله على البحرين ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وابنه عبد الله بن عمر — كما روى الامام الذهبى فى « تاريخ الاسلام » . . .

٥ — والمساواة بين أصحاب الملكيات الشخصية فى وجوب مراعاة المصلحة العامة ، فمن تقبل منهم ذلك بسروح تعاونية سمحة كان جديرا بشرف المساواة بينه وبين أمثاله . . . ومن أبى فليس له الا السلطان الذى يزعم الله به ما لا يزعم القرآن ، كما صنع الرسول مع « سيرة بن جندب » الذى كان له نخل فى بستان رجل من الانصار ، وكان يكثر من دخوله البستان هو وأهله ، مما جعل صاحب البستان يستغيث برسول الله . . فاستدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره أن يبيعه نخله . . فأبى . . فقال له : هبها لى ولك ثلثها فى الجنة . فأبى أيضا . فقال له عليه الصلاة والسلام بقوة وحزم : انت مضار . . ثم قال لصاحب البستان : اذهب فاقطع نخله . .

وكما صنع عمر بن الخطاب القوى الأمين ، مع محمد بن مسلمة الذى كان يملك بستانا يمر من خلاله الماء الى أرض يملكها الضحاك بن خليفة الأنصارى . . فأبى صاحب البستان أن يدع الماء يصل الى أرض الضحاك . . فاستدعاه عمر وسأله : عليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك ؟ قال : لا . . . فقال عمر : والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمرته . . . !!!

٦ — والمساواة بين جميع التجار فى تحريم الاحتكار ، والتحكم فى الاسعار ، وما الى ذلك من أساليب الضرار التجارى التى حرمها الاسلام تحريما

تاطلعا بقول الرسول « لا ضرر ولا ضرار » وقوله « من احتكر طعما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبريء الله منه » وبهذا الهدى المحمدى اهتدى الخلفاء الراشدون . فى وصاياهم للولاة والعمال ، من طراز وصية على بن أبى طالب الى الأستتر النخعى عقب توليته حكم مصر ...

وأما المساواة الاجتماعية الإسلامية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ — المساواة بين الناس جميعا فى سائر الحقوق الاجتماعية للفرد ولا سيما حق الغذاء .. والكساء .. والسكن .. والعلم .. ونحو ذلك ، دون ما تفرقة بين المسلم وغير المسلم . وهنا مسؤولية الأمة حكومة وشعبا ، تلك المسؤولية التى قررهما وأكدها كثير من فقهاء الاسلام الذين ذهبوا — وفى مقدمتهم الامام ابن حزم — الى تقرير مسؤولية البلد الذى يموت أحد أفرادهِ جوعا فيدفع أهل البلد الدية متضامنين ، كأنهم شركاء فى المسؤولية عن موته جوعا ، مسلما كان أو غير مسلم ، مصداقا للحديث المحمدى الشريف : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله .. » وبهذه الروح الإسلامية تشبع عبد الله بن عباس وهو يقول لغلामه أكثر من مرة : يا غلام لا تنس جارنا اليهودى ... وتشبع عمر بن الخطاب وهو يظل يلبس لبسواء التضامن الاجتماعى الاسلامى شيخا ضريرا يهوديا — كما روى أبو يوسف فى كتابه « الخراج » ص ١٢٦ ...

٢ — المساواة بين الجميع فى وجوب النهوض بالأعباء الاجتماعية التى تقتضيها المصلحة العامة ، ولا سيما الزكاة والضرائب والكنفارات وما الى ذلك بما يطالب به القادرون عليها إيجابا أو ندبا ، حسبما يملك هؤلاء القادرون ...

٣ — المساواة بين الجميع فى وجوب احترام قواعد الميراث الإسلامى احتراماً كاملاً غير منقوص

١ — فلا حرمان لولد دون آخر من الميراث كما حاول النعمان بن بشير أن يصنع ذلك لولده من عمرة بنت رواحة ... فأنبت عليه هذه الزوجة المؤمنة أن يحابى ولدها ... مستشهدة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أيدها فى موقفها قائلاً لزوجها : اذهب غائى لا أشهد على جور .

ب — ولا حرمان للأنتى دون الذكر من الميراث فهذه جاهلية جهلاء ، ما تزال لها رواسبها حتى اليوم مع الأسف الشديد .

ج — ولا تحايل على قواعد الميراث بالوصية لوأرث ميلا مع الهوى اهتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عقب نزول آيات المواريث « إن الله أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوأرث ... »

د — ولا عدوان على حقوق الورثة بالوصية لغير وارث إلا فى حدود ثلث التركة — والثلث كثير — كما قال الرسول لنسعد بن أبى وقاص فى حديثه المشهور ...

٤ - المساواة بين البيض والسود ، وبين العرب وغيرهم بقول رسول الله « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ، وليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » وهذه المساواة العنصرية واللونية التي شرعها وطبقها الاسلام منذ مئات الأعوام تزال بعض الدول « المراقية » بمعزل عنها في النصف الثاني من القرن العشرين قرن التفرقة العنصرية واللونية التي ما تزال لها رواسبها ومظاهرها وآثارها ، حتى في بيوت الله ، ومعاهد العلم والثقافة ، في اتحاد جنوب إفريقيا ، وفي بعض الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا سيما ولاية « أركيساس » وولاية « الألبا » وولاية « مرجينيا » ...

وقد أبت العنصرية البغيضة على العالم الفرنسي « جوبينو » إلا أن ينادي عام ١٨٥٨م بتفضيل الجنس الآري على الجنس السامي ، ونسج على منواله « رينان » و « هانوتو » و « داركور » .. وأخيرا « أرنولد توينبي » و « أرفلد شبنجلر » اللذان رسما للعالم المتحضر الأبيض حدودا تمتد من ألمانيا شرقا .. إلى الولايات الأمريكية المتحدة غربا .. ومن السويد والنرويج شمالا .. إلى إيطاليا جنوبا ...

فأين هذه التفرقة العنصرية واللونية البغيضة من المساواة الإسلامية الاجتماعية التي أعلنها الاسلام ، ثم طبقها بالمؤاخاة العملية بين بلال الحبشي وصهيب الرومي .. والمؤاخاة بين سلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب الهاشمي .. والصعود بالمعبد الحبشي بلال فوق الكعبة المعظمة لأداء الأذان الإسلامي الخالد وتوليته على المدينة .. وتولية ميمون الفارسي بلاد اليمن ، ثم تولية ابنه مهران من بعده .. وارسال عبادة بن الصامت سفيرا إسلاميا إلى المقوقس حاكم مصر الذي لم يكذب لونه الأسود الرهيب حتى قال لمن حوله مذبورا : نحنأ منى هذا الأسود .. فأجابه عبادة مرفوع الرأس ، موفور الكرامة : إن ورائي من هو أشد سودا مني وأفظع منظرا . وائى لأدعوك الى الاسلام .. فان أبيت فالجزية .. فان أبيت فالسيف ..

٥ - المساواة بين الرجل والمرأة مع الاقرار للرجل للرجل لدرجة شورية تعاونية . تشبه درجة الرأس على سائر أعضاء الجسم مصداقا لقوله سبحانه « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. » وقد أثبت الله فى هذه الآية - كما قال المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه « نداء الجنس اللطيف ص ٧ - « الولاية المطلقة » : للمؤمنات كما أثبتها للمؤمنين على السواء ...

المساواة القانونية الإسلامية :

وهى بتعبير شعبي موجز : المساواة بينهم فى الأصل والفصل وتفصيلا لهذا الاجتهال نقسم هذه المساواة ثلاثة أقسام :

- ١ - المساواة بين البشر جميعا فى الأصل الإنساني الواحد .
- ٢ - المساواة بين النساء جميعا فى الأصل الأبوي الأسرى ...

٣ - المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى • والحكم القانونى •

بين البشر جميعا

١ - أما المساواة بين البشر جميعا فى الانتساب الى الأصل الانسانى الواحد فهى من حق كل انسان ، لأن آدم أبو البشر جميعا ، وحواء أم البشر جميعا ، وما دام الناس جميعا من أصل واحد ، فالواجب أن يساوى بينهم مساواة تستمد قوتها وعدالتها وحرارتها من وحدة هذا الأصل ، وذلك ما عبر عنه الاسلام بآيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة . يكفيننا منها قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أبلكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد مكم الغائب » .

وقوله عليه الصلاة والسلام لأبى ذر الغفارى ، حينما سمعه فى سورة الغضب ، يتناول على بلال بن رباح قائلا له : يا ابن السوداء ... فقال له المرشد الأعظم فى حسم وقوة : طف الصاع .. طف الصاع « كناية عن تجاوز الحد اللائق » ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو العمل الصالح واستجاب أبو ذر لهذا التأديب المحمدى الكريم ، استجابة عملية حارة ، حيث سارع فوضع خده على الأرض ، مقسما على بلال بن رباح أن يتفضل فيطاه بحذائه ، حتى يغفر الله له هذه العنجهية الجاهلية الرعناء ، التى تجاوزت به حدود المساواة بينه - وهو ابن البيضاء - وبين بلال - وهو ابن السوداء !!!

بين النساء :

٢ - وأما المساواة بين النساء جميعا ، فى انتسابهن قبل الزواج وبعده الى الأصل الأبوى الأسرى ، فهى حق لكل امرأة ، لأن عقد الزواج فى الشريعة الاسلامية ، لا يقطع صلة المرأة بأبيها ، ولا ينقل نسبة اسمها من أبيها الى زوجها كائنا من كان الأب ، وكائنا من كان الزوج .

فهؤلاء امهات المؤمنين ، ينسبن حتى اليوم الى آبائهن .. لا الى زوجهن رسول الله ... فخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وصفية بنت حبيب بن أخطب اليهودى .. وليس للزوج بعقد الزواج أن يسلبها حرفا واحدا من نسبها الى أبيها ، فضلا عن أن يتصرف فى ميثال ذرة من ثروتها الشخصية وملكيتهما الخاصة ، التى هى وحدها دون زوجها صاحبة الحق الاول والأخير فيها ، غير منازعة أو مدافعة أو مدفوعة الى استشارة زوجها أو استئذانه ...

وذلك ما حرمته المرأة الفرنسية تحت وطأة المادة ٢١٧ من القانون

المدنى الفرنسى الذى يقول ويقرر « إن المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زوجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكيتها زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها فى العقد ، أو موافقته عليه موافقة كتابية » وعلى الرغم مما أدخل على هذه المادة من تعديلات ، فإن المرأة الفرنسية ، ما تزال حتى كتابة هذه السطور ، محرومة من مقومات الشخصية المدنية بعد الزواج ، تلك المقومات التى تتمتع بها المرأة المستقلة بسواء المساواة الإسلامية كاملة غير منقوصة .

أمام القانون

٣ — وأما المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى ، والجزاء العادل على العمل .. فهى من حق اللاتذيين بمحارب العدالة الإسلامية التى تساوى بينهم جميعا فى الدنيا والآخرة ، مساواة كاملة ، لا تشوبها أية شائبة من شوائب التفرقة الجنسية أو العنصرية أو اللونية أو المادية ، مصداقا لقول الله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « يأبى الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا .. » « يأبى الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون .. » « إن الله يامرکم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا » .

وبهذا الهدى القرآنى الكريم ، اهتدى الرسول وخلفاؤه الراشدون ، فى إعلانهم وتقريرهم المساواة بين الناس جميعا ، وفى تطبيقهم أحكام هذه المساواة تطبيقا عمليا بين سائر الناس والعبرة بالتطبيق لا بمجرد التشريع — كما قال توماس بين — وإلى جانب الأمثلة التطبيقية التى مرت بنا فى تضاعف هذا البحث ، نضيف الأمثلة التاريخية الحية الآتية ، فى فخر واعتزاز بالاسلام ومجد الاسلام ، دون سواء :

ولا يستوى وحى من الله منزل وقافية فى العالين شرود

١ — سرقت فاطمة المخزومية قطيفة وحليا ، وعز على قومها بنى مخزوم من اشرف البطون القرشية . واليهم ينسب خالد بن الوليد .. أن تقطع يدها .. فتشفعوا بأسامة بن زيد الى رسول الله الذى صاح فى وجه حبيبه أسامة غاضبا لله دون سواء :

يا أسامة . أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب الناس معلنا أروع دستور للمساواة القانونية عرفه التاريخ : « إنا هلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . وهكذا أنتوت المساواة عملها الى العدالة الكاملة بين غاطمة بنت رسول الله فضلا عن فاطمة بنت مخزوم ... وبين سائر الناس ...

٢ — ورأى عمر بن الخطاب رجلا يجامع امرأة ، فجمع الناس يستشيره فيها يعمل ، دون أن يذكر اسميهما ... فقال له على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين إما أن تأتي بأربعة شهداء وإما أن يقام عليك حد القذف إذا صرحت باسميهما ، لأن الله تبارك وتعالى يقول « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » فسكت عمر ... ولم يصرح باسمى الشخصين اللذين رآهما رأى المعيان ...

٣ — وشكا يهودى على بن أبى طالب الى عمر بن الخطاب فى خلافته . ولاحظ على أن عمر قد نادى اليهودى باسمه .. وناداه هو بكنيته تائلا : يا أبا الحسن .. فغضب لأن عمر لم يسو — غير قاصد — بينه وبين اليهودى حتى فى أسلوب الخطاب ..

٤ — وشكا أحدهم الى عمر بن الخطاب أن أبا موسى الأشعري أقال عليه حد شرب الخمر .. ولكنه تجاوز الحد بأن حلق شعره ، وسود وجهه ، ودعا الناس الى مقاطعته .. فانتصف له عمر من أبى موسى ، الذى هدده عمر بتوله له فى كتابه : لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الفاس ...

٥ — وشكا قبطى من أهل مصر الى عمر عدوان ابن عمرو بن العاص حاكم مصر عليه فى سباق كان بينهما ، فانتصف عمر للقبطى من ابن عمرو وصاح فى وجه عمرو بكلهته العمرية الخالدة : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !!؟

٦ — وشكا عربى فزارى الى عمر بن الخطاب أن الأمير الفسائى جبلة بن الأيهم لطبه فى موسم الحج لطمة هشمت أنفه .. فسأل عمر جبلة .. ولما اعترف بأنه لطمه لأنه وطئ إزاره .. أصر عمر على القصاص منه .. فسأله جبلة فى دهشة : أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة .. فقال عمر كلمته الحاسمة : ان الاسلام قد سوى بينكما .

٧ — وسأوى الخليفة المأمون العباسى بين ابنه العباس وبين امرأة من عامة الناس فى محراب العدالة ، كما سأوى القاضى شريك بين الأمير العباسى على بن موسى وبين امرأة أخرى من غمار الناس ، وأصر على هذه المساواة حتى النهاية ...

وما هذه الأمثلة الا غيض من فيض المساواة الاسلامية بين الجميع ، وفى كل ناحية من نواحي الحياة ، جامعة بين التشريع والتطبيق ، حريصة على الموازنة بين الحقوق والواجبات .

فما اعظم فضل الاسلام على الانسان وحقوق الانسان ولجنة حقوق الانسان فى هيئة الأمم المتحدة ، التى تقول فى المادة الأولى من الاعلان العالمى لحقوق الانسان (١) « يولد الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء » . ولعل من المناسب أن اختتم هذا المقال بشهادة لها مغزاها من رجل له تاريخه فى « التحررية » و « التقدم » وهو الدكتور طه حسين الذى قال فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « الفتنة الكبرى » ما نصه :

« النظم الاجتماعية التى عرفتها الإنسانية عجزت كلها عن تحقيق المساواة بين الجميع وتحقيق العدل الاجتماعى ، تحقيقا ينهى بالناس الى اطمئنان لا يشوبه قلق ، وأمن لا يشوبه خوف ، والإنسانية المعاصرة ترى من ذلك ما لا يحتاج الى أن نطيل القول فيه :

١ — فالنسيوية قد ضمنت للناس قليلا او كثيرا من العدل الاجتماعى ... ولكنها ضحت فى سبيل ذلك بحريتهم كلها .

٢ — والفائسية قد ضحت بالحرية والعدل جميعها ...

٣ — والديموقراطية قد ضمنت للناس شيئا من حرية وقليلًا من مساواة امام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من المعدل الاجتماعى شيئا ...

سلكت الإنسانية فى سبيل الحكم الصالح كل هذه الطرق ، وجربت كل هذه النظم : فلم تنقذ الى غاية .. وما زالت تشكو الظلم والجور والضيق والاستغلال والاستغلال ...

وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس الحرية والعدل جميعا ، وهذا النظام القويم هو الذى حاولت الخلافة الإسلامية لمسهدى أبى بكر وعمر أن تنشئه ... ولم يعرف المسلمون ولا غير المسلمين ، اميرا حاول من العدل ما حاول عمر ، وحقق منه ما حقق عمر » .

ذلك ما قاله طه حسين .. واقول : ذلك سر الاسلام فى اهله : و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

(١) ص ٦٤ من كتاب المواطن للدكتور محمد منور .

آراء لرشيد رضا



الثقافة والتربية والتعليم

للكاتب: أحمد الشرباصي

نشر التعليم :

أدرك رشيد رضا قيمة التعليم ، فتحدث عنه في كتابته أكثر من مرة ، وحث على نشره في مناسبات كثيرة باللسان والقلم ، وبالمقالة والمحاضرة والرسالة والمحاور ، وفي مفتتح القرن العشرين تقريبا كتب يقول : « لو أن كل فقير في القطر المصري مثلا بيذل في السنة قرشا واحدا لأجل التعليم ، لاجتمع من ذلك اللوف الألوف ، وتيسر به عمل في البلاد كبير ، فكيف إذا أنفق كل أحد على قدره ، كما قال تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته) (١) » .

ورشيد يرى أن التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعمالان الرافعان إلى قفة السيادة (٢) .

ويؤمن رشيد بوجوب تعميم التربية والتعليم ، لأنه يؤمن بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم كما عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويتألم رشيد لأنه يسمع كثيرا ممن يتحدثون عن نشر التربية والتعليم ، دون أن يصحب ذلك إيمان بما يقولون ، أو انتقال إلى التطبيق والتنفيذ ، ويقول : « الذي قلت أنه

وسيلة لسعادة الأمة تجمع كل الوسائل ، وسبب يرجع اليه كل الأسباب ، هو تعميم التربية والتعليم ، وهذا اللفظ تلوكه الألسنة كثيرا ، الا أن معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل (٣) » .

وعاد رشيد فتوسع في شرح ذلك خلال مقال كتبه بعنوان : « التربية والتعليم (٤) » . وينبغي أن نلاحظ أن رشيدا في هذا المجال يردد كلمتي « التربية والتعليم » مع أن اللفظ الشائع في عصره المعبر به عن هذه الناحية هو كلمة « المعارف » ، بل قد ظللنا في أكثر البلاد العربية نقول : « وزارة المعارف » الى عهد قريب ، ثم استجبنا لتوجيه أمثال رشيد رضا ، فتركنا كلمة « وزارة المعارف » ، واستعملنا كلمة « وزارة التربية والتعليم » .

ويبدو واضحا أن رشيدا يريد من كلمتي « التربية والتعليم » أن نجمع بين العلم والخلق ، لأن حثو الذهن بالمعلومات والمعارف لا يكفي ، بل لابد معه من تأديب وتهذيب وتربية .

ونفهم من كلام رشيد أنه كلما كثرت ألوان المعارف والعلوم التي يأخذها الناشئ ازداد صلة بالثقافة الصحيحة ، واتسع أفقه العلمي ، ولذلك ينبغي على بعض قومه أن يقتصروا في ثقافتهم وتعليمهم على طائفة معينة من العلوم ، قد يكون لها قيمتها العالية ومكانتها السامية ، ولكنها لا تكفي لتكوين الثقافة العامة الواسعة ، ويحذر رشيد من طول المكوث على هذه العلوم وحدها ، دون تلقيها بغيرها مما يساعد على هضمها ، أو يوسع دائرة الانتفاع بها ، وهو يقول :

« ان طول مدة التلقى والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية ، يضعف في الطالب ملكة الحكم ، والاستقلال في العلم ، ويحصر علمه فيما يسمع ويقرأ ، حتى لا يكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملئ ، أو يصنف أو يفتي ، ومن كان هذا كسل علمه فلا علم له ، وإنما هو ينقل ما عنده غيره ، علما كان أو ظنا ، حقا أو باطلا ، خطأ أو صوابا (٥) » .

ونحن نفهم أن رشيدا في هذا النص يدعو الى أكثر من أمر ، فهو يدعو الى ترك الاقتصار على طلب علوم معينة لمدة طويلة ، ويدعو الطالب الى ترك الاقتصار على ما يسمع أو يقرأ في هذه العلوم ، ويحثه على اضافة علوم أخرى الى هذه العلوم السابقة ، وأن يحرص خلال ذلك على تربية ملكة الحكم عنده ، والاستقلال في العلم والفهم ، حتى لا يكون نسخة مكررة ممن سمع عنه ، أو من الكتاب الذي طالعه .

ولذلك نرى رشيدا في مقام آخر يطالب أمته بأن تعرف العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ وتكوين البلدان (الجغرافية) ، لأن الاسلام دين الفطرة الأمر بكل علم نافع ، والنهي عن كل جهل مضر ، ويطالبها رشيد كذلك بالجد والعمل ، وترك الخمول والكسل (٦) .

ولما كان الكتاب هو أساس للتعليم دعا رشيد الى العناية بالكتب وحسن اختيارها ، وتأييد الصالح منها ، ومقاومة الضار ، وقال فيها قال : « الأمة لا يصلح حالها الا اذا كانت الكتب المتداولة بين أفرادها في التعليم والمطالعة مشتملة على مافيه صلاحها وطرق منافعها ، على الوجه الصحيح ، من حيث الأخلاق والآداب ومن حيث الأعمال » .

ثم يذكر أنواعا من الكتب الضارة المنتشرة في مجتمعه ، ويطالب بمحاربتها ، ويدعو الى تيسير المعارف في كتب سهلة واضحة ، ويقول : « هذا ركن عظيم من أركان الإصلاح ، وهو مطلوب من رجال العلوم وحملة الأعلام ، لا من رجال

السياسة والأحكام (٣) » .
وآراء رشيد السابقة سديدة موفقة ، تدل على عمق ادراكه لاهية التربية والتعليم فى المجتمع .

رشيد ونوادير المخطوطات :

كان رشيد رضا طالب علم ، عالما ، وكاتبا ، ومؤلفا ، وصاحب مطبعة ، وناشر كتب ، ولذلك لم يكن غريبا أن يعنى بالبحث عن المخطوطات المهمة ، وبخاصة ما اتصل منها بما عنى به من علوم الدين واللغة ، ومن أمثلة ذلك أنه شغل نفسه مدة طويلة بالبحث عن مخطوطات تتعلق بالمسائل المجمع عليها ، ولقد كتب فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ رسالة الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له فيها :

« فى المسائل المجمع عليها خلاف كثير ، وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شىء ، الا ان يكون فى بعض الجامعات المجهول ما فيها بدار الكتب ، أو فى بعض المكاتب الخاصة ، وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب أو كتابين لابن المنذر ، يوجد أحدهما فى مخطوطات خزائن الآستانة ، ولابن حزم كتاب آخر استدرك فيه على ابن تيمية بكتاب خطاه فيه بدعوى الإجماع فى مسائل كثيرة .

وقد ظنرت بهذا الكتاب مخطوطا ، وما زلت أبحث عن أصله لابن حزم ، حتى علمت بوجود نسخة منه فى الآستانة ، وبأنه تنقص منه ورقة من آخره .

وقد سافر فى الصيف الى الآستانة حسن بك عدیل فؤاد بك سليم صديقنا الذى يقيم معه فؤاد بك فى داره ، ففكرته أن يسمى لأخذ صورة عكسية منه .
فان فعل فأننى أطبعه مع كتاب ابن تيمية ، فيكون اكمل كتاب لنا فى باب ، واضع له مقدمة فى بيان ماهو دينى ، وما هو غير دينى من مسائل الإجماع ، ويكون حجة لى وسندا فى سائر كتبى الإصلاحية (٨) » .

وفى أثناء كتابة رشيد فى مجلته وفى كتبه أشار أكثر من مرة الى عنايته بالمخطوطات الدينية وغيرها ، ولقد أسهم رشيد بذلك فى نشر الكتب القيمة التى كان قراؤها فى اشد الحاجة اليها حينئذ ، وكان نشر الكتب يسيرا متواضعا فى نطاق ضيق ، وهذا جهد منه مذكور ومشكور .

ومما يتصل بنشر الكتب أن رشيدا فى سنة ١٩٠٣ أبدى إعجابه بالفهارس التفصيلية التى يضعها الأوربيون مع الكتب التى ينشرونها ، وكان ذلك الإبداء بمناسبة حديث عن ديوان « سبط ابن التعاوىذى » الذى نشره المستشرق الانجليزى مرجليوث ، حيث قال رشيد :

« وهذه الفهارس التى يلحقها الأفرنج بكتبهم ، وما يطبعونه من كتبنا ، مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ، ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فأننا نحظو حذوهم فيها (٩) » .

وقد أعجبت برشيد حين رأته سارع فحذا حذو هؤلاء ، فوضع فهارس كافية لجلدات مجلته (النار) ، وفى كثير من هذه المجلدات جعل رشيد فى صدرها فهرسا عاما لجميع الموضوعات ، مرتبا حسب الحروف الأبجدية ، وفهرسا للآيات القرآنية . وفهرسا للأحاديث الواردة فى المجلد ، وفهرسا للكتب والمجلات التى تحدث عنها ، وفهرسا للكاتبين فى هذا المجلد .

وقد يضيف فهرسا لمؤلفيات الأعيان ، وقد تزيد صفحات هذا الفهرس للمجلد الواحد من ثلاثين صفحة .

ولكن رشيدا فاته - لظروف مختلفة ، كفلاء الورق ، أو سفره بعيدا عن مصر ، أو عدم وجود من يعاونه - أن يضع مثل هذه الفهارس لبعض مجلدات المنار .

ولا شك أن هذه الفهارس جهد محمود ، لأنها تعين على مراجعة موضوعات « المنار » : تلك الموسوعة الإسلامية العربية الضخمة ، وقد سلك رشيد هذا المسلك الحميد في « تفسير المنار » أيضا .

وإنه لمن الخير العلمي والأدبي أن يوضع فهرس كامل شامل لمجلدات « المنار » كلها ، لكي يتسع نطاق الانتفاع بهذه الموسوعة ، والفهارس التي وضعها رشيد لمجلدات المنار تصلح أساسا لهذا الفهرس الكامل الشامل .

وإذكر بهذه المناسبة أن مجلة « المشرق » اللبنانية لها فهرس كامل شامل في مجلد مستقل ، وهذا الفهرس يجعل طالب الحاجة من مجلداتها يهتدى إليها وإلى مواطنها في أسرع وقت ممكن ، فليت مجلة « المنار » يتحقق لها ما تحقق لجلة « المشرق » ، ولعل الأيام تتسع والأسباب تنهيا لاحقق هذا العمل .

رشيد والترجمة :

لم يتقن رشيد لغة غير اللغة العربية ، وإن كان قد عرف جانبا من اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وقد حدثنا رشيد عن طلبه العلم في المدرسة ، فأخبرنا أنه لم يعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وإن كان قد حفظ مايفرض عليه من دروسهما في المدرسة الوطنية ، ثم ندم على عدم تعلم الفرنسية ، بعد أن علم أن لها فوائد كثيرة في خدمة الإسلام (١٠) .

ولهذا عن رشيد بأن يعوض هذا النقص بمطالعة كل مايستطيع مطالعته من الكتب المترجمة ، وكان يطلب أحيانا من أصدقائه الذين يعرفون لغات أجنبية أن يترجموا له مايحتاج من مقالات أو بحوث .

ونفهم من رسالة كتبها رشيد إلى الأمير شكيب أرسلان بتاريخ ٣٠ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٦ أن رشيدا كان حريصا على ترجمة كتاب « سرائر القرآن في خلق وانفاء وإعادة الأكون » الذي ألفه المرحوم مختار باشا ، وأنه حاول ذلك ، واتصل بالأمير شكيب ، ومحمود باشا مختار ، وعبد الغنى بك سنن ، والدكتور شرف الدين التركي ، لكي يحقق هذه الأمنية (١١) .

وكذلك عن رشيد بأن ينشر في المنار الترجمة التي قام بها الأستاذ عبد العزيز محمد لكتاب « أميل القرن التاسع عشر » ، كما نوه أكثر من مرة بكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » الذي ترجمه أحمد فتحي زغلول عن الانجليزية . كما نوه بكتاب « الرد على الدهريين » الذي ترجمه الشيخ محمد عبده ، وطبع كذلك كتاب « الصحة » الذي كتبه المهاتما غاندى ، وترجمه الشيخ عبد الرازق المليح أبادي ، وقصة « آخر بني سراج » التي ترجمها الأمير شكيب أرسلان ، كما عنى بأن ينشر بحوثا ومقالات كثيرة مترجمة في مجلة « المنار » .

رشيد والأدب الشعبي :

لم يفت رشيدا ان يتحدث عن الأدب الشعبي ، وإن يسجل بعض النصوص من هذا الادب — وإن كانت موضع نظر عند رشيد وغيره من الجهة الدينية فهو ينكر هذا الإنكار — ومن أمثلة ذلك قوله :
« أعرف رجلا شيخا أثيب أعمى أجس الصوت ، ينشد الاماديح المنظومة على طريقة المواويل ، بالاستغانة بالسيدة (١٢) .

يا بنت بنت النبي ، طلى وشوغينا
يا بنت يفت النبي ، دخلك أنا عين

وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس في ظل دارنا ، وهي تحفظ اسجعا مناسقة في الدعاء ، هممت غير مرة بأن انصت اليها واكتبها عنها (١٣) » .

وينبغي ان نتأمل قوله هنا : « أنصت اليها » وقوله : « واكتبها عنها » فان هذين القولين يدلان على عناية رشيد رضا منذ وقت مبكر بالأدب الشعبي ، ورغبته في متابعته ، ولنتذكر انه قال هذا الكلام في أوائل القرن العشرين ، وفي وسط عام ١٩٠٤ ، فهو إذن قد وضع الإشارة الدالة على استحسان السنية بتتبع الأدب الشعبي ومحاولة تقييده .

رشيد ومقاومة العامية :

قد يفهم فاهم من محاولة رشيد رضا تتبع الأدب الشعبي أنه كان يرضى عن نشر العامية ، أو يدعو اليها ، وهذا خطأ ، لأن رشيدا عاش نصيرا للفصحى ، كارهها للعامية ، محاربا للذين دعوا الى نشرها .

ومن الشواهد على ذلك — وهي كثيرة مبثوثة في مجلة المنار وغيره من كتب رشيد — أنه في سنة ١٩٢٩ سأل سائل عن مدير لدرسة اسلامية في بيروت التي خطابا في مدرسة تبشيرية دعا الناس فيه الى احلال العامية محل الفصحى ، أو تسكين اواخر الكلام ، فرد عليه رشيد مستنكرا ذلك ، وقال في اجابته :

« ان كان المدير الذي أشرتم اليه يدعو الى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة ، أو يترك الاعراب منها ، فهو إما جهول لا يعقل لمصلحة الامة العربية في دينها ولا دنياها ، وإما سىء النية يخدم الأجانب في اضعاف هذه الامة ، وافساد أمرها عليها ، الا ان كان يقصد بذلك الكلام المعتاد ، فله عذر ما ، وهذا الذي نلظنه ، وقد يكون الناقل مخطئا في الفهم (١٤) » .

رشيد واصلاح الخط العربي :

تكلم رشيد رضا سنة ١٩١٠ عن صعوبات الخط العربي ، ووجوب اصلاحه ، واقترح أن تكون الحروف متفرقة ليسهل الطبع والجمع ، وأن تختصر

هيات الحروف ، ويستغنى عن « الفتحة » فى الشكل ، لأنها كثيرة ، ويوضع للرفع والكسر أداة ، واقتراح رشيد على من يقومون بسبك الحروف ان يقدموا على تنفيذ هذه الفكرة (١٥) .

ولابد ان نتذكر هنا ان هذا الموضوع قد اثير بعد ذلك بعشرات من السنين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيره من الهيئات المختصة بالبحوث اللغوية ، واتجه الراى فى السنوات الأخيرة — بعد بحوث ومحاولات طويلة متشعبة — الى الاخذ بما يقرب من راى رشيد ، واستعملت فعلا هذه الحروف الميسرة فى بعض مطبوعاتها .



رشيد وقضية القديم والجديد :

فى بحث لرشيد بعنوان : « التجديد والتجدد والمجددون » قال :

« وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والأدب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس . وإنما هذا وذلك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الأفراد النابغين الذين قلما تجود بهم لهم الأزمان » .

ثم يقول : « وقد كان بعض الأدباء يفضل المتأخرين فى بعض الأشياء ، وقد افتتح عنقرة معلقته المشهورة بقوله : (هل غادر الشعراء من متردم) يعنى ان الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولاً يقوله .

ولكنه هو جاء فيها بمعان لم يسبقه اليها غيره ، وقد عارضه ابن أبى حجلة فى تفصيل كتابه (ديوان الصبابة) على ما سبقه فى معناه . يقول فى خطبته : فإن قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، أقول : فى الخمر معنى ليس فى العنب ، وأحسن ما فى الطاووس الذنب .

وكلمة (الفضل للمتقدم) صارت مثلاً فى أفواه العلماء والأدباء ، ولا أدري أول من قالها ، هل هو عدى بن الرقاع الشاعر الأموى الذى ضمنها فى شعره أم غيره (١٦) ، وهذا شيخ صناعة الأدب الحريرى (١٧) قد استشهد فى تفصيله بديع الزمان على نفسه فى مقدمة مقاماته بقول عدى هذا .

ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين » .

ثم يقول : « والقول الحق فى الموضوع انه لابد للبشر فى كل من القديم والجديد ، وأن فى كل منهما الحسن والتبجح ، والنافع والضار ، وأن من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ، ومن هو أميل الى ذاك من أجناس الأشياء وأنواعها ، وقلما يفضلها لحض جدتها الا الأطفال ، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال .

وأما المعتلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا مرجع

يرجحه عليه ، عملاً بالقاعدة المنطقية فى المتساويين ، وإنما تكون الجدة مرجحة فى جزئيات النوع الواحد ، إذا كانت متساوية فى سائر صفاتها ، فإن الجديد يكون أزهى وأبهج . وأثبت وأبقى (١٨) .

وعندى أن هذا رأى معتدل ، لايعنى بالعصبية للزمن ، بل يعنى بالموضوع والثمرة .

-
- (١) تفسير المنار ، ج ٤ ص ١٢٢ .
 - (٢) المنار ، المجلد الأول ، ص ٥٦٧ .
 - (٣) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٦١ .
 - (٥) المنار والأزهر ، ص ١٩٦ .
 - (٦) مجلة المنار ، المجلد ٢ ص ٢٤٤ .
 - (٧) المنار ، المجلد ٣ ص ٤٩ - ٥٣ .
 - (٨) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٧٥٥ .
 - (٩) المنار ، المجلد ٦ ص ٩٤٥ .
 - (١٠) المنار والأزهر ، ص ١٣٨ .
 - (١١) السيد رشيد رضا ، ص ٤٦٥ .
 - (١٢) بقصد السيدة زينب بنت على .
 - (١٣) المنار ، المجلد ٧ ص ٣١٩ . عدد ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤ .
 - (١٤) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٧٢٨ .
 - (١٥) المنار ، المجلد ١٣ ص ٢٠٤ . عدد ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩١٠ .
 - (١٦) تكرر من رشيد آتائه باللفظة « أم » مع « هل » ، وهذا مما يلاحظ عليه لغوياً .
 - (١٧) قد يؤثر هذا التعبير من رشيد عن الهريرى شيئاً من المحجب ، فقد عرفنا فى موطن آخر أن رشيد رضا يفضل بديع الزمان فى المقامات على الهريرى ، ويرى أن الهريرى متكلف متصلع .
 - (١٨) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٥١ و ٥٥ .



سألفاك يا بني

طالما تملكني هزات عنيفة اعادت الى خاطري ما وعيناه في دراسنا الاسلاميه ، هل يكون الجندي محاربا حقا اذا ذهب الى المعركة وهو حريص على حياته كلفا بان يرجع من المعركة وكأنه راجع من مباراة لكرة القدم مثلا ، ادى واجبه فلعب الوقت المحدد ليلاقى بالتصفيق او الاسف ، او انه يذهب الى المعركة كنزوة يعود بعدها ليأخذ قسطه من الراحة ، ام انه يذهب الى المعركة مملوءا بالرغبة في القتال حتى آخر نفس يتردد في صدره وحتى آخر قطرة من دمه تجري في عروقه .

اذا كانت الاولى فخير له الا يذهب لانه في منأى عن رسالته التي عليه اداؤها .

واذا كانت الثانية فهو يذهب حبا في وطن حريصا على شرف واغبا في شهادة ، وهذه هي رسالة الجندي .

للك كفت حريصا على تسجيل هذه الخواطر التي ملكت على مشاعري حين جاني نبا استشهاد انسان شرفت بشهادته شرفا لم انله قبله واهب لكل اب ولكل أم لهما جندي في الميدان ان يناله .

كان امله دائما ان يلتحق بالخدمة في القوات المسلحة . فقد كان على خلق عظيم ورجولة مبكرة لا تعهد فيمن هم في مثل عمره ، هادئا عطوفا على كل صغير أو كبير عرفه وعاشره .

تحقق امله بالاتحاق بالقوات المسلحة ، وكنت اتلقى شجاعته واقباله على القتال فخورا ومشفقا في وقت معا ، حصل من قيادته على التقدير بلى التقدير ماديا ومعنويا .

كان يرد على نصيحتي بالحدز بايمان عميق بقضاء الله وبالرسالة الخالدة للجندي والليقاتل ، كان يقول لي ان ما سيصينني قذيفة كتب عليها اسمي وغيرها ان يصينني وان كانت هي فلا مفر منها .

ايمان بالله عريق وحب وفاء في سبيله بلغ نروة لم يصل اليها الا المجاهدون الصادقون الذين باعوا انفسهم لله ليشتروا بها جنة ونمينا في جواره فربحت تجارتهم .

أيما جعلني انسى العمر والزمن وانى ان اعود مقابلا كما كنت منذ نيف من السنين وأنادى بقول الحق « ما لبسيت كنت معهم مافوز فوزا عظيما » .
كنت اخلو الى نفسى مغلبى العاطفة ساسحة من الوقت وأقول لها ، قد اكون اعطيت هذا الابن الحبيب من طافه الحماس اكثر مما يحتمله شبابه الفضى وليس من العدل ان افرغ حصيلة من الجندية اخترنت فى عشرات السنين بلفت بنا وبلغنا بها خريف العمر فى نفس شاب فى ربيع الحياة امامه سنين طويلة حتى يقوى على حملها ، لقد قدمت اخا شهيدا من ثلاث سنوات بها وليس عدلا ان اقدم بها ابنا نافعا يمدون المدة ليوم عرسه ويقترب مع الايام يوم زفافه .

كنت استمع اليه يسرد قصصا حببية الى نفس كل جندي وهو يقول : لقد حطمت تحصينات العدو فى مواجهتى ، وسالتقل بوحدتى الى موقع آخر لاحطم ما بقى منها ، وهكذا كان ينتقل بوحدته من شمال الجبهة الى جنوبها مؤديا لواجبه الحبيب الى نفسه ، وهو تحطيم مواقع العدو وتحصيناته ، وممها احلامه وآماله .

كان يقص على كيف اصيبت بجافته ولم يصب وهو بداخلها ، وكيف اخطاه قذيفة سقطت وانفجرت على بعد قليل منه ، ولم يصبه منها تسليقة بسوء خيزداد ايمانه بالقضاء ويقوى عزمه على القتال والاستبسال .

كان يستمع الى بشفء وثقة وأنا اردد على سمعه « انك واقرانك من المقاتلين تدافعون عن عقيدة عن شرف عشيرة وكل اسرة لها ملك جندي فى الميدان يحمى فى الوطن عرضها ووجودها وامنها وان وطننا حدير بان يجب بكل قوة وبكل حياة ، واذا كان العدو الخبيث فى سبيل باطله يقتل بهذه الفراوة والفراسة فحري بكم ان تدافعوا عن حكم بضاوة وشراسة اعنف واشد ، انكم تدافعون عن تاريخ مجيد حقيق بان يجب بكل نفس وبكل جراحة وبكل روح ، احب لكم ان يكون هنافسكم وانتم تخوضون كل معركة ضد عدوكم — الله اكبر — كفى بك يا بنى وصوتك يهدر بالانشيد ، قد صدقت القدر نصحتك وكنت الشهيد .

اعطيت حياتك لله فهينا لك ما اعطيت وما اخذت فريحت عوضك الله من عروس فى الارض عروسا تزف اليها فى السماء اطعت ربك ووفيت عهدك وفيت انسانيتك ومن يطع الله والرسول فلواتك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

هينا لك يا بنى هذه المصحبة الطاهرة فى ظل العرش الكريم الى يوم القيامة ، هينا لك يا بنى طبيب الحياة وطبيب الموت فقد ادركت الشهادة مقبلا غير مجبر حاملا سلاحك مصوبة الى نحر عدوك وعدو وطنك .

هينا لك يا بنى فقد فسلت بالثار لا بالماء ودرجت فى علم لا فى كفن وكتبت الخلد فى سجل الخلود لا فى دفتر الصحة .

هينا لك قد بلغت ببيتك وبغية كل نفس مؤمنة بالله وبوطنها وعد الصديق سالفك يا بنى مرتين سالفك وصحبك اعلاما خفاقة يوم النصر القريب ان شاء الله ، وسالفك فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، يوم البعث مع الشهداء الصديقين فهذا وعد ان يخلقه الله .

سلام عليك وعلى صحبتك فى الصالحين الابرار
سلام عليك وعلى صحبتك فى الخالدين .

إمام الفقهاء

أبو حنيفة النعمان

للدكتور: محمد محمد أبو شبة

تقديم

الكلام ، والعلوم العملية كالطب والهندسة ، والرياضيات كالحساب والجبر والمقابلة ، والعلوم السكونية كالكيمياء والطبيعة ، والفلك .. من هؤلاء الأئمة الاعلام . امام الفقهاء أبو حنيفة النعمان ، الذي يعتبر مغفرة للفقه الاسلامي ولا سيما في عصوره الاولى . وسأتناول في هذا المقال شيئا من جوانبه الفقهية والاجتهادية ، وعلمه بالقرآن والسنة وأنه ذو باع طويل فيهما ، وعصره ونسبه ، وحياته الخصبة المثمرة التي تجعله في عداد الخالدين من رجال العلم في العالم .

لما انتشر الاسلام واتسعت رقعته ، وامتد سلطانته حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار دخلت فيه الكثرة الكثيرة من أبناء هذه البلاد التي استظلت بلواء الاسلام عن طواعية واختيار ، وخلصوا لهذا الدين وللفقه العربية : لغة القرآن غاية الاخلاص فلا تعجب اذا وجد من هؤلاء أئمة اعلام : في التفسير والحديث ، والفقه والاجتهاد ، واللغة العربية وعلومها وآدابها .. والعلوم العقلية ولا سيما

نسبه ونشأته :

الإمام أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى (١) التيمى ولاء ، ذلك أن زوطى جد الإمام كان فارساً من أهل كابل (٢) وكان مملوكاً لبني تميم الله ابن ثعلبة ، فأسلم فاعتق فصار ولأؤه لهم أما والده ثابت فقد ولد على الإسلام ، وهذا هو المعتمد فى نسبه ، وإن زعم بعضهم أنه لم يجر على أحد من أجداده رق بل بالغ البعض ، فجعله يتصل إلى العرب بنسب .

ولا يضير الإمام قط أن يكون أصله فارسياً ، ولا أن يكون أحد أجداده استرق ثم اعتق ، لأن الإسلام لا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين مولى وسيد فى التقدير الدينى والعلمى ، وفى الموالى من رفعه دينه وعليه إلى مقاعد الشرف والسيادة ، وفى العرب من أوبقه كفره ، ورعى به فى زوايا الأهمال جهله ، وكانت ولادة الإمام بالكوفة سنة ثمانين للهجرة ، وقد عاش بها معظم حياته ، ولم يفرقتها إلا إلى مكة فمكة وجيزة ، وإلى بغداد قبيل وفاته وكانت وفاته سنة مائة وخمسين لهو إذا عاصر معظم الدولة الأموية ، وأوائل دولة بنى العباس .

عصره وكونه تابعياً :

إن العصر الذى عاش فيه الإمام يعتبر من مصور الإسلام الذهبية ، والإمام ولد ونشأ فى قرن يعتبر من القرون الخيرة الفاضلة ، وهو عصر التسابيعين فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . . وقد صح كما قال

الإمام الذهبى (٣) أنه رأى أنس بن مالك - رضى الله عنه - وهو صغير ، وروى ابن سعد فى كتابه (الطبقات) عن الإمام أنه قال : « قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع ، وكان يخطب بالحمرة قد رأيته مراراً » كما أنه رأى عبد الله ابن أبى أوفى ، وغيره من الصحابة ورؤيته بعض الصحابة ليس فيها خلاف بين العلماء ، وإنما الخلاف فى سماعه منهم ، والثقات من حفاظ الحديث وتقواده على أن الإمام لم يسمع من أحد منهم ، ومذهب جمهور المحدثين أن السماع من الصحابة ليس شرطاً لتحقيق كونه تابعياً (٤) وهى خصوصية امتاز بها الإمام عن بقية الأئمة الأربعة .

أساتذته وشيوخه :

وللإمام شيوخ كثيرون من أعيانهم محمد بن السائب الكلبي النسابة المنسر ، وجعفر الصادق ، وابن شهاب الزهري عالم الشام والحجاز ، وشعبة بن الحجاج ، وربيعة الراى شيخ الإمام مالك وسليمان بن مهران من كبار المحدثين ، وحامد بن أبى سليمان وهو الاستاذ الأكبر للإمام أبى حنيفة ، وقد لازمه ملازمة طويلة وتخرج على يديه ، ونهتل وعمل من معينه الثر ، وحتى أثر من حماد أنه قال : « لقد أنزغنى » (٥) .

تلاميذه :

وقد روى عن الإمام وأخذ منه العلم والفقه الكثيرون من الأئمة من مشاهيرهم محمد بن إسحاق بن يسار إمام أهل الخاضى ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وأبراهيم بن أدهم ،

والحسن البصري ، وأبو يوسف
القاضي ، ومحمد بن الحسن ، وزهر
ابن الهذيل ، وغيرهم هؤلاء الثلاثة
هم أخص تلاميذه المتفهمين عليه ،
ويدل على جلالته أن بعض شيوخه
قد أخذ عنه كريمة الرأي ومالك
وحسان بن أبي مسلمين ، ووصل
بعض المؤلفين في مناقبه بتلاميذه
والأخذين عنه إلى نحو الثمانمائة
وسرد أسماء الكثيرين منهم (١) .

فقه الإمام :

والإمام أبو حنيفة أحد أذكى
الدين المدودين ، ورائد الأئمة
المجتهدين المشهورين ، وأحد الفقهاء
الأربعة المتبعين ، الذين طبقت
شهرتهم الأماق ، وسادت مذاهبهم
في أقطار المروبة والإسلام ، وقد
أقر للإمام بالفقاهة وتلك ناصية
الاجتهاد ، وبلغه النهاية في ذلك
جمهرة من فقهاء الشريعة الكبار ،
وأئمة الحديث المشهورين روى عن
الإمام اللوذعي محمد بن إدريس
الثعالبي أنه قال : « الناس في
الفقه عيال على أبي حنيفة ، وهذا
عبد الله بن المبارك يقول « كان أبو
حنيفة أئمة الناس ما رأيت أئمة
منه » .

ويقول في حقه سفيان الثوري :
« وهو أئمة أهل الأرض » وأثنى
عليه وعلى قوة حجته أمام دار
الهجرة مالك بن أنس فقال : « لقد
رأيت فتى لو كلمك في هذه المسألة
أن يجعلها ذهاباً لقام بحجته » .

علمه بالقرآن والسنة :

وقد كان الإمام حافظاً للقرآن ،
مدنياً للقراءة له ، وقد روى أنه كان

يختم القرآن في رمضان مستين ختمه
ختمه بالليل وختمه بالنهار ، كما كان
عالماً بعلومه وناسخه ومنسوخه ،
ومحكمه ومتشابهه ، وعامه وخاصه ،
ومطلعه ومتبديه إلى غير ذلك من
علوم القرآن التي لا بد منها لمن يبلغ
الاجتهاد في الأحكام ، وبين الحلال
والحرام . كما كان - رضي الله عنه -
حافظاً للأحاديث والسنن شديداً
العناية بها ، ثقة في الرواية ،
بمسيراً بالعدل والرجل ،
مقبول الجرح والتعديل ،
روى الخطيب البغدادي في تاريخ
بغداد عن مسكين بن عبيدة قال :
« أول من أئدني للحديث أبو حنيفة
قدمت الكوفة ، فقال أبو حنيفة :
هذا أعلم الناس بحديث مروى بن
دينار فاجتمعوا على محدثهم »
وناهيك برجل يذكر سفيان بن عيينة
في الحديث ، والإمام أبو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
وهو أحد الأئمة السقة في الحديث
يعتمد على الإمام في التمسيد
والتجريح فيروى في كتاب العدل من
(جامع) عن الحماني قال : سمعت
أبا حنيفة يقول : ما رأيت أكذب من
جابر الجعفي (٧) ولا أفضل من عطاء
ابن أبي رباح « كما أثنى عليه جهابذة
الحديث ونقاد » ، سئل يحيى بن معين
وهو الإمام الحجة في الجرح
والتعديل : هل حدث سفيان عن أبي
حنيفة ؟ قال : نعم كان أبو حنيفة
ثقة صدوقاً في الفقه والحديث ماؤنا
على دين الله ، وروى عنه أنه قال :
« سمعت يحيى بن سعيد القطان
يقول : « لا تكذب الله تعالى ،
ما سمعنا أحسن من رأي أبي
حنيفة » .

وكان يحيى بن سعيد القطان
يذهب في الفتوى مذهب الكوفيين

فيختار قول أبي حنيفة من أقوالهم (٨) ويقول في حق الإمام تلميذه أبو يوسف وهو من حفاظ الحديث كما قال ابن جرير الطبري « كان أبو حنيفة أبصر بالحديث مني » ويقول : « ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة » ولا عجب أن يكون الإمام أبو حنيفة بهذه المنزلة وقد أخذ الحديث عن رجاله كسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، والأعمش وغيرهم من أئمة الرواية ، وكانت الكوفة آنذاك منزلا لكثير من الأئمة الذين جتمعوا بين الرواية والبرائة (٩) وأما ما ذكر في تاريخ بغداد من الطعن في الإمام فذلك من آثار التحامل والتعصب ، قال الإمام السيوطي في كتابه « مناقب أبي حنيفة » : « لا تغتر بكلام الخطيب فان عنده المصيبة الزائدة على جماعة من العلماء كأبي حنيفة وأحمد ، وبعض أصحابه ، وتحامل عليهم بكل وجه » ولم يسلم — في الغالب — أحد من مشاهير العلماء من الطعن والتجريح بغير حق ولعن الله الحاسدين والحاقدين .

التجني على الإمام :

وقد غلط الإمام حقه في العناية بالأحاديث والسنة ، وثقته في الرواية بعض حاسديه ورموه بما ليس فيه ، فزعموا أنه قليل البضاعة في الحديث ، وأنه قلت روايته تبعا لذلك قلت لا نصدقها في حق طالب من طلاب الحديث فضلا عن إمام مجتهد تزم مدرسة في الفقه والاجتهاد يعتبر رجالها مفخرة من مشاهير الإسلام قديما وحديثا ، واليك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته (١٠) ، وحكايته هذا القول الضعيف عن هذا البعض ، ورده عليهم قال : « وأعلم

أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة والأقلال فأبو حنيفة رضي الله عنه — يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثا أو نحوها ومالك — رحمه الله — أنها صح عنده في كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث (١١) أو نحوها ، وأحمد بن حنبل في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه إليه اجتهداه في ذلك ، وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلذا قلت روايته ، ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة ، ومن كان قليل البضاعة في الحديث فيتمتع عليه طلبه .. إلى أن قال والإمام أبو حنيفة إنما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل ، وضعف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي ، وقلت من أجلها روايته نقل حديثه لا أنه ترك رواية الحديث متعمدا نحاشا من ذلك ، ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث أعتماد مذهبه بينهم ، والتعويل عليه » .

فما نحن نرى أن ابن خلدون ذكر هذه المقالة التجنية على الإمام بلفظ (يقال) وهي من صيغ التضعيف في عرف علماء الرواية ، وإذا كان ابن خلدون بين السبب في قلة رواية الإمام فمراده بذلك القلة النسبية لا ما حكاه في صدر كلامه بصيغة التضعيف ، ومما فكرنا من نص المقدمة يتبين للباحث النصف والقارئ المثبت أن عزو هذا القول الضعيف إلى ابن خلدون تجن كذلك على العلامة ابن خلدون ، وخيانة للامانة في البحث ، وقد انزلق إلى هذا الرأي الضعيف الذي لا سند له

بعض الكاتبيين المحدثين (١٢) في الحياة العقلية في صدر الإسلام وجعله من قول الثقات ، ويعلم الله أن القائل به ليس من الثقة في شيء وأنا لا أنكر تفاوت الأئمة في الحفظ والرواية فذلك أمر معلوم مفروغ منه ، ولكن الذي لا أكاد أصدق أن تنزل مرويات الإمام الأعظم إلى هذه القلة الضئيلة وكيف يتهاى لجهتد أن يبني مذهبا على سبعة عشر حديثا صحت عنده ، وأقل ما يقال في مسائله التي تكلم فيها أنها تبلغ ثلاثا وثلاثين ألف مسألة في العبادات والمعاملات ، وكيف يجوز قبول هذا القول وشناهد العيان يرده ، فمكترة أحاديث الإمام تظهر من حججه المبرورة في أبواب الفقه التي نقلها عنه أصحابه ، والدونة في تلك المسانيد السبعة عشر (١٣) لتكابر الأئمة من أصحابه وسائر الحفاظ ، وكان مع الخطيب البغدادي عندها حل في دمشق مسند أبي حنيفة للدارقطني ، ومسند أبي حنيفة لابن شاهين وهما زائدان على المسبعة عشر المذكورة (١٤) .

والظاهر أن الخطأ دخل على القائل بأن الإمام لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا من أنه مسح أن للإمام سبعة عشر مسندا أي كتابا مرتبة أحاديثه على حسب الصحابة فظن أن المراد بالمسند الحديث الذي ذكر له أسفاد قوهم هذا الوهم الفاحش . وكيف نصديق مثل هذا الرأي العارى من الحجة ، وهذا هو الحسن بن زياد أحد تلاميذ الإمام كان يقول : « كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث : ألفين لحاد ، وألفين لسائر المشيخة » واليك ما ذكره الحافظ النافع الذهبي في حق

الإمام : « ولولا كثرة اعتناؤه بالحديث ما تهاى له استنباط مسائل الفقه فانه أول من استنبطه من الأدلة ، وعدم ظهوره في الخارج لا يدل على عدم اعتناؤه بالحديث كما زعمه بعض من يحسده ، وليس كما زعم ، وإنما قلت الرواية عن الإمام وإن كان متسع الحفظ لأمرين : أحدهما : اشتغاله باستنباط المسائل من الأدلة كما كان أجلاء الصحابة كابى بكر وعمر وغيرهما يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلت روايتهم بالنسبة لكثرة حديثهم ، وكثرة رواية من دونهم بالنسبة إليهم ، وهذان الإمامان مالك والثنافي لم يرويا إلا القليل بالنسبة لما سمعاه لأشغالهما باستخراج المسائل . ثانيهما : أن الإمام أبا حنيفة كان من المتشددين في الرواية وفي تصحيح الأحاديث ، وقد ذكر العلامة ابن الصلاح أن من مذاهب التشديد - يعني في الرواية - مذهب من قال : لا حجة إلا فيما رواه الراوى من حفظه وذلك مروي عن مالك وأبي حنيفة رضى الله عنهما (١٥) .

وكان للإمام شلوف نظر في الأحاديث ، والترجيح بينهما ، ومن لا يعرف ذلك يلصق بهما هو براء منه ، مثل الأعمش وهو من كبار المحدثين عن مسائل ، فقال لأبي حنيفة : ما تقول فيها ؟ قال كذا وكذا فقال الأعمش من أين لك كذا ؟ فقال الإمام : أنت حدثتنا عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وحدثتنا عن فلان الصحابي عن رسول الله بكذا وورد عدة أحاديث على هذا النمط وصار يتكلم فيها ، ويستنبط منها على حسب اجتهاده فقال الأعمش :

أبا حنيفة برىء من تهمة قلة البضاعة
فى الحديث ، والحمد لله الذى هدانا
الى تجلية هذه المسألة الشائكة ،
وبحسننا هذا اليوم ، ونودع الحديث
عن بقية جوانب الإمام الخصبة
المشرقة الى المقال الآتى ان شاء الله
تعالى ..

حسبك ما حدثت به سساعة واحدة
ما علمت بأنك تعمل بهذه الاحاديث ،
يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ، ونحن
الصيدالة ، وائت أيها الرجل اخذت
بكلا الطرفين !

وتصارى القول وجهاده ان الامام

- (١) زوطى يوزن موسى كما ضبط الامام النووى ، وضبطه صاحب القاموس بفتح اللزى كسلى
والمحققون على الاول .
- (٢) عاصمة أفغانستان .
- (٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٨ ط الهند .
- (٤) الذى عليه الجمهور والمحققون من العلماء ان القاهسى : من لى الصحابى وهو مسلم
سواء سمع منه أم لا ، وان كان من سيع من الصحابى أجل ممن لم يسمع ولا شك .
- (٥) يعنى أحدث كل ما مى من العلم .
- (٦) عقود الجمان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان مخطوط بكتبة الحرم المكى .
- (٧) انظر ما ذكره الامام مسلم فى مقدمة صحيحه عن جابر بن يزيد الجعفى صحيح مسلم
بشرح النووى ج ١ ص ١٠١ - ١٠٣ .
- (٨) عقود الجمان .
- (٩) مقدمة نصب الراية فى تخرىج احاديث الهداية ص ٣٢ وما بعدها ..
- (١٠) مقدمة ابن خلدون « بحث علوم الحديث » .
- (١١) هذا العدد يخالف ما ذكره الامام ابن عبد البر وهو أعلم الناس بالموطأ من أن عدة
أحاديثه المستندة المرفوعة ثمانمائة وثلاثون حديثا هذا عددا ما فيه من الموقوفات والمقطوعات
والبلاغات ..
- (١٢) هو الاستاذ احمد أمين - رحمه الله - فى كتابه « نجر الاسلام » ص ٢٤٤ .
- (١٣) طبع بالهند من هذه المستند خمسة عشر مسندا فى مجلدين كبيرين وهى تعرف بجامع
المستند وقد جمعها الامام الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .
- (١٤) مقدمة نصب الرواية ص ٤١ .
- (١٥) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٨٥ ط حلب .



مائدة الفارسية

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب .

صدق الله العظيم

أن عبداً صححت له جسده ، ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفدو إلى المحروم .

رواه ابن حبان في صحيحه

« وصية الحاج »

قال رجل لولادة العبدية كانت من أعقل النساء أني أريد الحج فأوصيني .

قالت — جد تسد ، واصبر نفز ، ولا تعتمد غصبك عليك ، ولا هواك عليك ، وفر عينك بدينائك ، وفر عرقك بمالك وتفعل تقدم ، وأعلم تقدم ، واستمن بالجلد التسيط ، والتاصح الأمين ، واستشر المجرب الكيس ، واستصحب الصديق الملم ، ثم قالت — يا ابنه انك تعد على ملك الملوك ، فانتظر كيف يكون مقامك بين يديه .

« صحيح البخاري »

روى محمد بن سليمان عن البخاري

قال —

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكانني واقف بين يديه ، ويبدى مروحة أذب بها عنقه ، فسألت بعض المحبرين للرؤيا ، فقال لي — أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح .

« حصاد الألبسة »

قال كسرى — أنا على قول ما لم أقبل أقدر مني على رد ما قلت .

وقال قبصر — لا أندم على ما لم أقل ، وإنما أندم على ما قلت .

وقال ملك الصين — إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها .

وقال ملك الهند — الكلمة أسيرة في وثاق الرجل ، فإذا تكلم بها صار في وثاقها .

« القلم »

وصف على بن عبيدة القلم
فقال —
أصم يسمع النجوى ، أعيى
من باقل ، وأبلغ من سحبان .
يجعل الشاهد ، ويخبر الغائب
ويجمل الكتب بين الأخوان
السنا ناطقة ، وأعيى لا حطة ،
وربما ضمنها من ودائع القلوب
ملا تبوح به الألسن عند
المشاهدة .

« الملك والزهد »

دعا أحد الملوك زاهدا ، غلم
يلب دعوته ،
فقال الملك — وكيف لا يجيئنا
وقد دعونا ؟
فأرسل إليه الزاهد يقول
— أن الذي يمنعك أن تجيئنا
هو الذي يمنعني من المجيء إليك
وهو الكبرياء .

مناظرة بين محمد الباقر وأبي حنيفة

يروي أن محمدا الباقر قال لأبي حنيفة في أول لقاء لهما بالمدينة — أنت الذي حولت دين جدى
وأهانيه بالقياس فقال أبو حنيفة . معاذ الله ، فقال مهدي بل حولته ، فقال أبو حنيفة اجلس مكانك
كما يحق لك حتى اجلس كما يحق لى فإن لك عندي حرمة كحرمة جدك صلى الله عليه وسلم في حياته
على أصابعه ، فجلس ثم جئا أبو حنيفة بين يديه ثم قال انى سالتك عن ثلاث كلمات فاجبني الرجل
أضعف أم المرأة ؟ فقال محمد المرأة فقال أبو حنيفة كم سهما للمرأة فقال للرجل سهما وللرأة سهم
فقال أبو حنيفة هذا قول جدل ولو حولت دين جدك لكان ينبغي في القياس أن يكون للرجل سهم وللرأة
شهران . لأن المرأة أضعف من الرجل ثم قال : الصلاة أفضل أم الصوم ؟ فقال : الصلاة أفضل
قال هذا قول جدك ولو حولت قول جدك لكان القياس أن المرأة إذا ظهرت من الخيف امرتها أن
تقضى وقت الصلاة ولا تقضى الصوم ، ثم قال البيول أنجس أم النطفة ؟ قال البيول أنجس ، قال غلو
كنت حولت دين جدك بالقياس لكنت امرت أن يقتسل من البيول ويتوضأ من النطفة ، ولكن معاذ الله
أن أهول دين جدك بالقياس فقام مهدي فعاتقه وقبل وجهه وأكرمه .

« أوسعتهم سبا وأودوا بالابل »

يضرب مثلا للرجل يتهدد عدوه ويسبه وليس على عدوه منه ضرر . المثل لكعب بن زهير قاله
لابيه زهير لما أغار الحرث بن ورقاء من بني أمية على أبه وذهب بها ويرايمها ، فجعل زهير يهجو
ويسبه ويتهدده هو وقومه وهم لا يكثرثون به فقال له ابنه كعب أوسعتهم سبا وأودوا بأبلك راشررا
بك .

سيرالبون : جبال الأسود فریتساون : مدينة الحرية

للأستاذ : سليمان محمود عطا

قد اثر هذا الحكم على اربعة عشر الفا من الرقيق كانوا يعيشون وقتئذ في بريطانيا اورد اليهم حریتهم المملوية وحقوقهم الضالمة .

ولكن هذه الحرية التي اكتسبوها كانت ثمنها كثيرة ، واعمالها ثقيلة ، لقد كانوا قیل الحرية يعيشون في بيوت ساداتهم ، وهم غير مسئولين عن طعام أو شراب أو كساء ، ولكن بعد التحرير أصبحوا مسئولين عن كل ذلك ، ولم تكن الاعمال في مضاوّل ايديهم فادركتهم البطالة وارهقهم الجوع والمرض والجهد والحاجة الملحة .

وبعد اربعة عشر عاما من صدور الحكم في قضية « سبرست » جاء الحل لهذه المشكلة ، وكان من اقترّاح « دكتور سلمان » وهو خبير سبق له العمل في غرب افريقيا لقد اقترح الاستفادة من « سيراالون » واعداده لأميرين ...

كان البرتغاليون ينحسسون طريقهم على طول الشاطئ الغربي للقارة الإفريقية بغية الوصول إلى الهند ، وفي مكان من هذا الشاطئ الهند ، ارتفعت الصخور وازدادت قصوة وصلابة ، ونجمت عنها عرين الأسود وهبت الرياح عاصفة مزمجرة عاتية ، وتردد صداها بين هذه الجبال ، وتلك الاودية والصخور كانه زفير الأسود . اطلق البرتغاليون على هذا الجزء من الشاطئ الغربي « سيرالبون » أي جبال الأسود ولا يزال هذا الاسم مرتبطا بهذا المكان إلى الآن ..

وهين أصدر « لورد مانسفيلد » الحكم في قضية « جيس سبرست » الرقيق المزنّجى الذى هرب من سفينة كانت متجهة إلى «جمايكا» ونقل بالرحى لندن ، وقام سيده « شارلس لينوارت » برفع قضية يطلب فيها بالتعويض عليه ، قضى الحكم « بأن الرقيق ينال حريةه عندما تظا اقدابه ارض بريطانيا »



ومن هذا التاريخ « فريتاون » عاصمة « سيراليون » .

ولمنا بهذه المقدمة الخفيفة نكون قد عرفنا لماذا سميت سيراليون وفريتاون بهذين الاسمين ولقد استمر ارسال الكثير من العبيد المحررين ، ولم ينه القرن الثامن عشر الا وكانت بريطانيا قد تمكنت من ارسال جميع المحررين فيها الى سيراليون .

واصبحت فريتاون بعد ذلك قاعدة للأسطول البريطاني لراقة تجارة الرقيق عبر الاطلس والقضاء عليها ، ومصادرة ما تحمله السفن منها ، ثم اعادته الى موطنه ان امكن والا فالى سيراليون ليسهم في تكوين المجتمع الجديد .

وسكن هؤلاء جميعا فريتاون وما حولها . . وأطلق عليهم اسم « الكرويل » وهم بهذا

أولا — ان تكون وطنا للرقيق المحررين .
ثانيا — ان تكون قاعدة في غرب أفريقيا لقائمة تجارة الرقيق ، ونشر الثقافة المسيحية في هذا الجزء من القارة .

واستطاعت جماعة « كاهارم » وهي جماعة وهبت نفسها لتحرير الرقيق ، استطاعت الحصول من الزعيم الاتريفي « نوم » وهو من قبيلة التني — على مساحة من الأرض في شبه جزيرة « سيراليون » .

وفي ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٧م ابحرت من بريطانيا المجموعة الأولى من الرقيق المحررين وكان عددهم نحو اربعمائة تقريبا ، ووصلت السفينة سيراليون في مايو من السنة نفسها وسمى هذا المكان الذي انزلت فيه السفينة حصولها من الرقيق المحررين « فريتاون » اي مدينة الحرية .

الديمقراطي في ربيع ١٩٦٠ - قال وزير المستعمرات أن استقلال سيراليون أمر مقرر ، وفي ٢٧ من أبريل سنة ١٩٦١ وافقت بريطانيا على أن تمنح سيراليون استقلالها .

وارتفع علم جديد للحرية في سيراليون ، انضم إلى غيره من الاعلام التي حصلت على حريتها واستقلالها في أفريقيا .

وكان أول رئيس للوزراء بعد الاستقلال الدكتور « ملتن مارجاي » وقد زرتة في مكتبه في رمضان سنة ١٩٦٢ حيث كنت عضوا في بعثة وزارة الاوقاف الى سيراليون في هذا الشهر ، ولقد كانت هذه أول بعثة اوروبية تدخل سيراليون .

لقد قال لنا الدكتور « ملتن » أنا احب الاسلام ، لان جدي مسلم ، ولذلك فانا اسلم مع المسلمين في مساجدهم ومع المسيحيين في كنائسهم .

ولذلك طبيعة حكام سيراليون الى الآن ويبدو ان هذا من اجل ان الغالبية مسلمة ليجد الحاكم وهو مسيحي دائما نفسه مضطرا لمجابهة المسلمين لانهم اصحاب الاكثريه .

وخلف الدكتور « ملتن » شقيقه « اهيرت مارجاي » وسار على نفس الطريق وسلك نفس المنهج ، واستمر في الحكم حتى انقلاب سنة ١٩٦٧ .

سيراليون المسلمة :

لقد عرفنا شيئا عن تاريخ سيراليون وعن قصة نشأتها كدولة ذات كيان . ويجب ان نعرف شيئا عن تاريخ الاسلام في هذه البلاد وكيف دخل اليها ؟ وما هي العوامل التي أثبتت عليه ، وجهلته دين الاغلبية في هذه البلاد بالرغم من غلبة التبشير ، وتصر الحكومات الغمائية التي حكمت سيراليون سواء ما كان منها نصت الحماية وما أصبح في ظل الاستقلال بعد سنة ١٩٦١ م .

لقد وصل الاسلام الى غرب افريقية عن طريقين .

طريق الصحراء من تونس والجزائر والمغرب . الطريق الساحلي الى السنغال ومنها الى بقية غرب افريقيا جنوب الصحراء .

يتميزون عن سكان الداخل من القبائل الافريقية ، ويمثلون عابا جيدا ، وثقافة متميزة ، فهم لا يجمعهم سكان الداخل الا وهذه اللون .

لها اللغة والدين والنظرة الى الحياة ، والموقف الاجتماعي والاقتصادي ، فكان يختلف اختلافا جديا بين الساحل والداخل ، اي بين « الكروبل » وهم من عرفنا ، وبين سكان البلاد الاصليين !!

موقع سيراليون :

تقع سيراليون على الساحل الغربي من افريقيا ، ويبتدئ ساحلها ٢١ ميلا من الحدود الفينية شمالا حتى حدود ليبيريا جنوبا وتحد شمالا غينيا وجنوبا بالمحيط الاطلسي ، وشرقا غينيا وليبيريا ، وغربا بالمحيط الاطلسي .

وساحتها : ٢٧٩٢٥ ميلا مربعا ، ومجموع سكانها ٢ مليون نسمة ، والسنة في سيراليون فصلان : ممطر وجاف . ويستمر المطر من مايو الى اكتوبر او نوفمبر والامطار غزيرة ، وقد تستمر عدة ايام دون انقطاع .

اقتصاد سيراليون :

واقتصاد سيراليون يعتمد اساسا على عاملين :

انتاج الفلات الزراعية ، واستخراج المعادن .

واهم حاصلاتها الزراعية - زيت القليل ، والكاكاو ، والكاكاو ، والزنجيل والبن والموز والمرايح والقول السوداني والارز .

واهم معادنها الناس - وهي اهمية كبيرة في اقتصاد سيراليون - وعلى جانب الناس تعنى سيراليون ، باستخراج الحديد ، والاقيت والبلاتين ، والذهب ، والكروم .

كيف ومتى استقلت سيراليون ؟

كان في سيراليون تسعة احزاب ، انفخوا جيمعا على تكوين جبهة واحدة لمطالبته باستقلال سيراليون ، وكانوا قد اعدوا ومنعوا ووصل الوفد الى لندن لحضور المؤتمر



— الكهفي — الذي ينقل المسافرين الى فينثاون بعد وصولهم الى المطار عبر المحيط الأطلسي .

المانجو ، والقولا ، والسوسو .. خلال القرون التالية . حتى أصبح الإسلام هو الدين السائد في شمال مسيراليون حيث تركز جماعات القنبي ، ثم في الشرق بين الأدي ، وأصبح يدين به حاليا ما يزيد على ٧٠٪ من سكان البلاد .

وقد كان للفرق الصوفية التي تكونت في غرب أفريقية الز كبير في انتشار الإسلام . ولعل أهم هذه الطرق المتيجانية والقادرية ، واتباعها كثيرون ، ولهم أورا د يلتزمون بها ولا يعيدون عنها ، ويعتصمون عليها في بيوت الله بمساء الأتقين والخميس ولهم دوى كدوى النحل ، ولا تكاد ترى مسلما من اتباع هاتين الطريقتين ، يشي إلا ومسبحته في يده وشائته يلهج بذكر الله .

ويسبب هاتين الطريقتين تسويت العقيدة الإسلامية الى الوثنيين في غرب أفريقيا ، وانتشر الإسلام في قوة وبصفة متصلة ، وبخطوات وثيدة هائلة .

وكان المسلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس ، ويقومون بالإلحاق

وقد تماقتبت على غرب أفريقيا امبراطوريات إسلامية بعد قيام دولة المرابطين سنة ١٠٤٢ هي امبراطوريات غانا ، ومالي وصنهاي ، وانتشر الإسلام بين كثير من قبائل القولا ، على ساحل شينا ، ثم جماعات الهوسا والمانجو .

ولقد دخل الإسلام الى سيراليون بواسطة أولا — طريق التجارة والمسلمين في الفترة بين القرنين الحادي عشر والسابع عشر ودان به الحكام دون الشعب وكان بقاء الانتشار غير محسوس .

ثانيا — من طريق حروب الفولا المقدسة التي بدأت حوالي سنة ١٨٠٠ م بعد تكوين المملكة الإسلامية في مرتفعات فونجالون ، والتي قام دعائها بالحروب المقدسة ضد القبائل المجاورة جنوبا وغربا ، حتى دان بالإسلام كثير من القبائل الوثنية ، ووصل بعض الدعاة الى مناصب المناصب ، مما كان له أكبر الأثر في اتباع العابسة للعقيدة الإسلامية ..

واستمر انتشار الإسلام على يد جماعات

عليها ، كما كانوا يقومون بنشاطهم في نشر الدعوة الإسلامية بين القبائل بالحكمة والمهولة الحسنة ، والقوة الصالحة .
ولقد زاد انتشار الإسلام ، وكثر أتباعه في سيرااليون ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ودانت به أغلبية السكان . لأنه دين الفطرة ، ودين يتناسب يسره ومرونته مع أهل هذه البلاد . ودين يسوى بين الجميع فلا فضل لعربي على عجمي ولا لاسود على أبيض الا بالقوى .

وقد ان أفريقيا كلها خلى بينها وبين الاختيار وزالت العقبات التي تحول دونها لما اختارت غير الإسلام ديناً ، وغير محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً . . . ولقد ظل التعليم بين أبناء البلاد قاسراً على تحفيظ القرآن الكريم يقوم به المعلمون من أبناء قبائل القولا والمادنجو والمهوسا حسية لله سبحانه وتعالى ولا تزال هذه الكتابات قائمة تؤدي رسالتها وتقوم بواجبها ، وتعد القاموس لدخول المدارس الإسلامية التي انشئت في الآونة الأخيرة . .

وكم كان جبلاً ومؤثراً حين كنا على سفر في غير يوم من الأيام ، ورأينا امام كثير من القرى التي مررنا عليها نيرانا مشتعلة قد هتكت حجب الظلام وحين سألنا عن مصدر هذه النيران وأسبابها ، قيل لنا ان هذه النيران يوقدها الأفقوات ويجمعون عليها مع تلاميذهم الذين يحفظونهم القرآن حتى يروا على ضوءها ألوانهم ، ويقينون كتاباتهم ، ويقراوا ما يكتبون ، حين سمعت ذلك أطرقت ذهني ، وقلت في نفسي صدق الله العظيم حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

التبشير :

عاش أهل البلاد في عزلة معرضين عن مدارس التبشير التي قامت في بعض المدن ، والتي كانت تصدر في تصف على تمديد ، وتصيير ، وتغيير أسماء كل من يدخلون فيها من أبناء المسلمين .
وبهذه العصبية الكافرة من مدارس التبشير هزم الكثير من أبناء المسلمين من فرص التعليم التي هيئت لغيرهم ، من أبناء الكرويل . والتي

رشحتهم فيما بعد لتولى أعلى المناصب في الدولة .

ومن المصيب ان هذه المدارس لا زالت تصدر على ذلك وتقوم به على الرغم من أن قانون التعليم في سيرااليون لا يسمح لها بهذا الاعتداء اللامع على حرية الأديان ولكم نهينا المسؤولين إلى ذلك ، وكان العدى . .

لقد أصبحت إذ ناديت حياً

ولسكن لا حياة إن تنسادي

أهجم المسلمون من الحاق أبناءهم بمدارس التبشير ، وقد قال أحد كبارهم حين سألته عن كثرة الجهل وقلة الوظائف بين طوائف المسلمين ، قال لقد فضعنا أن نكون مسلمين جهلاء على أن نكون كفاراً علماء . .

أما الذين لم ينجسوا من مدارس التبشير من المسلمين والحقوا بأبنائهم بها ، وتنافسوا عن تبشيرهم أو تمديدهم ، فقد وصل أبناءهم إلى كثير من المناصب الرئيسية في الدولة ، ومن الأسر التي كانت تدن بالاسلام ، وتحول أبناءها إلى القصرانية «أسرة مارجاي» وهي أسرة منية ، وكان منها أول رئيس للوزراء ، وهو الدكتور (ملتن مارجاي) وآخر رئيس للوزراء حتى قبل انقلاب ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ . وهو «البرت مارجاي»

وكذلك أسرة «كارينا سسمارت» وزير خارجية سيرااليون الأسبق وهو من قبيلة التلني وكذلك البريجادير (لانسنا) قائد القوات المسلحة السابق قبل ثورة ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ ولكم دعانا لصلاة العيد في القوات المسلحة ، وحدثنا عن ذكرياته الأولى في حفظ القرآن الكريم ، وأنه لا يزال يحتفظ بمصحف في مكتبته .

إن التبشير في سيرااليون له أصول معينة عبق الاستعمار الذي جاء به وحمله إلى هذه البلاد في فظة وجعل من أهلها . .

وهو يسير على سياسة مدروسة وخطة محكمة لا تقوم على المظاهر وإنما تقوم على تخطيط زمني وعقائدي .

وهو لم يجرى وهذه ، وإنما جاء في ركاب الاستعمار ، والاستعمار هو الذي كان يعميه ويؤازره ، وقدم له كل أسباب البقاء والحياة



صورة لتلاميذ مدرسة الأخوة الإسلامية بمدينة
فريتاون

على ٤٢ مدرسة ابتدائية - ومحمد لإعداد
المعلمين ومشروع إنشاء مدرسة ثانوية ولا
تزال البعثة التطهيرية هناك تؤدي واجبها على
أكمل الوجوه .

والى جانب مدارس الأخوة الإسلامية .
توجد مدرسة ثانوية للتدوير الإسلامي
والمدرسة الإيمانية التي يديرها الحاج جبريل
سيسى شيخ قبيلة التمنى ، وأول من تعلم فى
الأزهر الشريف .
ومدارس جماعة الأحمدية ، والاحمدية فى
سيراليون نشاط ملحوظ ، وقد وصل أول
دعاتها الى سيراليون سنة ١٩٢٧ والحذ ينتقل

وكل المعونات المالية والمعنوية ، وهو الذى
هيا له تربة صالحة ، وجوا ملائما بين أوساط
الحاكمين الذين تماقنوا على سيراليون ،
وكانوا يملكون فى أيديهم سلطة البلاد ومقاليدها
أن سيراليون بها ما يزيد على ثمانمائة
مدرسة ، بين ابتدائية ، وثانوية ، فليبيتها
يسيطر عليها ويديرها جمعيات تهسيرة وهيئات
كنسية .

التعليم فى سيراليون :

تتقبل فى سيراليون جميع أنواع التعليم
الإبتدائى ، والثانوى ، والتجارى ، وإعداد
المعلمين ، والصناعى ، والمهنى ، والجامعى
حيث تم إنشاء كلية فوإبى وقامت بتأسيسها
الجمعية الإرسالية الكنسية سنة ١٩٢٧م وهى
تابعة لجامعة درهام فى بريطانيا ، وقد
اتسعت هذه الكلية حتى أصبحت جامعة
تشتمل على الكثير من الكليات والدراسات ،
كما تستقبل العدد الوفير من أبناء غرب
أفريقيا ، وعدد طلابها يزيد الآن عن الخمسمائة
طالبه يمثلون الكثير من دول القارة الأفريقية
مثل نيجيريا ، وغانا ، وبنينا ، وكينيا ،
وأوغندا ، وروديسيا الجنوبية وجنوب
أفريقيا .

وبما يذكر أن بها قسما للمعالم الدينية ،
يشتمل على دراسات للعلوم الدينية للحصول
على الليسانس .

وبرامج دراسية فى دراسة الإنجيل ،
ودبلوم للدراسات العليا فى اللاهوت
وكل الدراسة فى سيراليون باللغة الإنجليزية

التعليم العربى :

حتى سنة ١٩٦١ لم يكن للتعليم العربى
نصيب ، بل كان كل هؤلاء هذه الكنائس
الغاثرة هنا وهناك . . حتى تأسست جماعة
الأخوة الإسلامية وافتتحت أول مدرسة لها
بمببوراكما وأمتها الجمهورية العربية المتحدة
بالتين من المدرسين ، ونوالت البعثات بمعد
ذلك ، وسابق المسلمون فى كل البلاد
فى فتح مدارس عربية إسلامية حتى تركها
سنة ١٩٦٨ ولجماعة الأخوة الإسلامية ما يزيد



مسجد القولا بمدينة تريتون وهو من اكبر المساجد

الجالية العربية :

في سيرايلون جالية عربية اجنية كثيرة لاجل انهم في حصة آلاف نسمة ، وهي تعمل بالتجارة ولهم هناك ناد كبير ، ومدرسة ، وفي طريقهم الى انشاء مسجد كبير يساهم فيه كل أبناء الجالية وهم يتفاعلون دائما مع الأحداث التي تسر بالعالم العربي والاسلامي ، فصلتهم باوطانهم قائمة ، وارتباطهم بعروبتهم وثيق ، ويرجى منهم خير كثير لو احسنوا صلتهم بربهم ، واقاموا شعار الاسلام فيما بينهم .

النشاط العربي :

للجمهورية العربية في سيرايلون ، سفارة ومركز ثقافي به الآلاف من الكتب في مختلف العلوم والفنون ويؤمهم الكثير من عشاق العلم والحرفة ، وهناك فرع لشركة النصر وبطة تعليمية بها أكثر من خمسة وعشرين مدرسا وواعظا يعملون في مدارس الاغوية الاسلاميه والجزر الاسلامي ، والمساجد ، والاذاعة

من مكان الى مكان ، حتى استقر في « بو » ومنها امتد النشاط الى تريتون حيث بنوا مسجدا ، ومكتبة ، وجمعية وقاموا بانشاء بعض المصانع لانتاج بعض احتياجات الجيلة ومتطلباتها وكان بعض الوزراء ينتهي الى هذه الجماعة ، والكثير من المسلمين لا يعرفون ما تنطوي عليه دعوتهم وحين يطعنون حقيقتها ينفضون من هولهم . حيث لا يوجد مسلم يقبل ان يناقش في قضية ان مهيدا رسول الله وانه حسانم الانبياء والمرسلين ،

مساجد سيرايلون :

وسيرايلون بها الكثير من المساجد فكل قبيلة لها مسجد ومسجدان وثلاثة ، وتريتون وعدها بها ما يزيد عن الثلاثين مسجدا ، وبعض هذه المساجد يرجع الى تاريخ قديم يرتبط بتاريخ الاسلام في هذه البلاد .

ومن التقاليد الجديلة في هذه المساجد تخصيص ربع المبنى تقريبا للسيدات لانهن يؤدين الصلاة جماعة مع الرجال في كل الاوقات ..



صورة لجموع الأزهر في صلاة عيد الفطر المبارك

اشرفوا عليها كانت تطلق المراسمات المثلث عليها ، وبدأ الحقل يظهر فيها ، كما ظهر كثير من الاختلاسات التي قسّم بها موظفون اسرايليون ، وحين اكتشف ابرهم نروا هاربين وعلى الرغم من كل هذا . نقضت اسرايل لا يتوقف ، وانطاعها في أفريقيا ليس لها حدود ، ولها اساليب مكررة خبيثة تستعمل بها الكثير من الشخصيات الكبيرة التي ينتظر ان تكون عوناً لها وسدناً في يوم من الايام ومن هذه الاساليب اعطاء نذائر الدعوة للفرار الى اسرايل وزيارتها مجاناً وتسهيل سفر الطلاب اليها للدراسة حتى يعودوا يفتشون جديدة ، ويكونوا عوناً لها في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية الخبيثة .

ثورة الجيش في سيرااليون :

بعد خلاف طويل قام بين حزب الحكومة

والقويون وقد كان لما برنامج تليفزيوني كل اسبوع يسمى « نور على نور » وكان نافذة يطل منها وجه الاسلام والعربية في هذا البلد الكريم .

وقد كان لخبر المركز الثقافي اثر فعال في هذا البرنامج حيث كان يترجم ما يقال فيه من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية بالإضافة الى نشاطه الامم في جميع المجالات كما كان لما درس اسبوعي لتعليم اللغة العربية في التليفزيون ولقي احباباً كبيراً .

النشاط الاسرائيلي :

في الآونة الأخيرة كان للاسرائيليين نشاط معماري وتجاري ملحوظ ، ولكن تبين بالتجربة ان اعمال اسرايل تنقصها الامانة والصدق ، وان كل الغشاش والبهس التي تقلدوا بها او

« هاريسون نشرتش » على مائة وستين زعامة
قبيلة ، وكلل قبيلة عاداتها وتقاليدها ، وكلل
قبيلة لغتها التي تتعامل بها غيبا بينها .

وإن كانت اللغة السائدة في الاوساط المتفقة
هي لغة « الكريول » ، وهي خليط من
البرتغالية ، والانجليزية ، وخليط من لغة
بعض القبائل كالقبنى ، والاوكو والسوسو ،
والقولو . حتى جعل بعض الكتاب يصفونها
بانها خليط الخاليط .

ومن الغريب أن المسافر الى سيراليون
يستعمل طرق المواصلات الثلاثة الجو ، والبحر
والجبر . فالمطارة تطع رحلتها من القاهرة
الى سيراليون في اثني عشرة ساعة تقريبا
وبعدها تصل الى « لوتجي » وهو مطار
سيراليون ، ومن المطار تنقل السيارات
المسافرين الى شاطئ المحيط الاطلسي المقابل
لشاطئ نريناون ، ومن هذا الشاطئ يقوم
« الفيري » وهو المصدية بنقل الركاب عبر
المحيط حتى يصل بهم الى شاطئ نريناون .
وبهذا تنتهي رحلة المسافر الى سيراليون .

خاتمة .

هذه لمحات سجلتها عن سيراليون لم تشمل
كل ما فيها وإن شئت بعينه وكنت فيها على
حد قول القتال ما لا يدرك كله لا يترك كله ،
ولعلني أستطيع ان شاء الله ان اعود الى
المحديث مرة اخرى لأؤتي بعض الجوانب حقها
من البحث ، ونصيبها من التوضيح . والله
المستعان .

وهزب المعارضة A. B. C. اثر نجاحه في
الانتخابات العامة ، وعدم تمكنه من مزاوله
الحكم ، وحدث بعض القتل والاحداث ،
قام الجيش بطورته في ١٧ مارس سنة ١٩٦٧
وتولى قائد الجيش زمام الأمور ، ثم تبعه
انقلاب من الجيش نفسه ، تولى بعده زمام
الأمر حزب المعارضة وتولى منصب رئيس
الوزراء المستر « شياكة ستين » وهو أول
رئيس للوزراء تهم القضية العربية واتسع
صدره لها ، كما اعطى للصحف حرية نشر
وجهة النظر العربية على أوسع نطاق ، وقامت
صحيفة الدبلي ميل وهي الصحيفة الرسمية
الأولى للبلاد بنشر عدة تعقيبات كان لها أكبر
الأثر في الماء الأنواء على مشكلات الشرق
الأيوسط وعلى اعتماد إسرائيل الخائشم الآثم
على جميع الخفسات . .

كما كان من نتيجة الثورة اختيار الحاج محمد
بنجانبجان سي حاكما عاما لسيراليون . وهو
أول حاكم عام مسلم يتولى هذا المنصب في
تاريخ سيراليون وهو من أسرة مسلمة وكان
والده أحد أئمة المسلمين . وهو عضو بجماعة
الاهوة الإسلامية .

وقد رأس وفد برلمان سيراليون لزيارة
الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٥ بدعوة
من مجلس الأمة العربي .

المعادات والتقاليد :

إن شعب سيراليون كأي شعب له عاداته
وتقاليده وفلسفاته ، فهو يشتمل كما ذكر



فكرة جمع الفتاوى وخطواتها العملية لأستاذ: أنور أحمد قادري

تقديم :

كتاب (الفتاوى الهندية) المالكية من أعظم وأهم مراجع الفقه الحنفى ، كانت فى التاريخ الإسلامى أول مشروع تأليف كتاب فقهى جامع تقوم به لجنة رسمية من كبار فقهاء العصر تؤلف بأمر ملك حاكم لهذه الغاية قبل نحو أربعة قرون ، لتجميع الأحكام المبعثرة ، وتسهيل الرجوع إليها واختيار الرأى المقتضى المراجع فى كل مسألة ، منعا لموضى الفتوى والقضاء . فهى الخطوة الأولى من نوعها فى تاريخ تدوين الفقه الإسلامى ، وهى تمهيد وتعبيد لطريق التقنين من الفقه .

وللأستاذ الباكستانى السيد انور أحمد قادري الأستاذ فى كلية الحقوق الإسلامية السندية فى كراتشى عاصمة باكستان بحث مسهب باللغة الإنجليزية عن هذه الفتاوى ، كان أرسله الى ادارة الموسوعة الفقهية لترجيته ونشره ، فمهدنا الى الأستاذ الدكتور برهان الشطى فى مجلس التخطيط بالكويت بترجيته ، فقام بهذه المهمة مشكورا رغم ضيق وقته ورغبة أهله خدمة للفقه الإسلامى ، ثم جرى فى ادارة الموسوعة تنقيح الترجمة ورز الكليات المتطلعة واسماء الاعلام والكتب الى أصولها العربية ، لأن كثيرا من هذه الألفاظ أعترأها تحريف كبير فى نقلها عن العربية الى الانكليزية التى كتب بها البحث كاتبه ، ثم ترجمتها عن الانكليزية .

والآن نقدمها الى مجلة (الوعى الإسلامى) لتنتشر ويطلع أبناء العربية على

* كتب التقديم الأستاذ مصطفى الزرقا مدير الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

أوسع بحث يؤرخ مشروع وضع الفتاوى الهندية المالكية الذي ظل حتى اليوم لا يوجد عنه فى العربية إلا معلومات بسيطة يسيرة .
 وجدير بالتنبيه أن تسمية هذا الكتاب الفتاوى الجليل باسم (الفتاوى) لا يدل على ما لهذه التسمية من معنى معروف ، فالمعروف أن كتب الفتاوى — وكثير ما هى فى مدونات فقه المذاهب — تدل على مجموعات من أجوبة المسائل والوقائع التى سئل فعلا عنها جامعوها من كبار الفقهاء وأجابوا عنها ، ثم رتبوها على الأبواب وأخرجوها فى كتاب كبير أو صغير .

أما هذه الفتاوى المالكية فهى ليست فتاوى بهذا المعنى ، وإنما هى مجموعة كبرى من لموع الفقه الحنفى وأحكام مسأله فى جميع الأبواب الفقهية جمعت من أمهات مدونات الفقه الحنفى متونا وشروحا ، ومن كتب الفتاوى (بمعناها المعروف) وإنما سميت بالفتاوى المالكية ، لأنهم جمعوا فيها الإتوال والآراء الفقهية الراجحة فى المذهب الحنفى ليعتمدها المفتون والقضاة فى الإنهاء والقضاء فهى الأحكام الفقهية التى يجب اعتمادها للفتوى ، ومن هنا جاءت تسميتها بالفتاوى .

تنسب الفتاوى المالكية الى الإمبراطور الملقب عالمكير — أى مانح العالم — واسمه أورانك زيب وهو من أعظم أباطرة هندستان المغوليين ، وأورانك زيب هو الابن الثالث للشاه جهان ، وقد ولد فى شهر أكتوبر من عام ١٦١٨م وكان اسمه الأصلى عند الولادة «محمّد» إلا أن والده بدل اسمه الى أورانك زيب ومعناه «زينة العرش» لأنه كان الابن المفضل لديه ، وقد اتخذ أورانك زيب فيما بعد القابا اضافية منها (محيى الدين) و (عالمكير) ، وقد أظهر أورانك زيب فى سن مبكرة وطوال حياته شعورا دينيا عميقا ، ويقال بأن هذا الشعور الدينى تولد لديه خلال مرحلة تعليمه على يد كبار العلماء المسلمين (١) . وقد ناضل تحت رايته السواد الأعظم للمسلمين من أجل بعث المثل الإسلامية العليا ، وبعد أن تغلب على العقائد الكافرة تسلم عرش دلهى فى عام ١٦٥٨ م ، وقد أصدر أوامره رأسا بالاقتصاد فى نفقات البلاط الملكى ، واتخذ إجراءات عديدة لإصلاح طرق الحياة وأساليب المعيشة ، فأنشأ لهذه الغاية (محكمة الاحتساب) وبنى خطوات لتحسين أحوال عامة الناس وضمان الرغاهية لهم .

وليس بين المؤرخين من يستطيع أن يجادل فى أن الإمبراطور عالمكير قد كان عاهلا تقيا وملكا نيرا ، فقد كتب مرة الى والده قائلا له :

« أن السيادة هى الحفاظ على مصالح الشعب وليس الانغماس فى الشهوات والتبذير » وكان يقول : (أن كل ما لدى الإمبراطور من أملاك وثروات ليست ملكا له ، بل هى وديعة تخص البلاد والعباد) وفى شؤون إدارة الدولة كان يقول :

(نحن أتباع عمر العظيم) ولذلك (فإن الملك يمكن الإدعاء عليه أمام القضاء) وكان كثيرا ما يستشهد بمنشويات الشاعر سعدى القائلة : تخل عن أن تكون ملكا بورك تخل عن أن تكون ملكا ، أو قرر بأن يكون حكم ممالكك بيدك فقط (٢) .

كل هذا جعل الآخرين يلقبونه بأنه : (محيط العدالة) ، وبكونه أكثر الناس نميزا بالأخلاص والتشفق وقد كان ضليعا فى قوانين الشريعة ، ورجل دولة ،

وأداريا من الطراز الاول ، فقد شمل برعايته المتعلمين ، وأسس لهذا الغرض عدة مدارس ، وأوجد نظام المرتبات الثابتة لكل من المعلمين والتلاميذ على السواء . وفى عهده توطلدت بشكل خاص العلاقات السياسية والدبلوماسية والثقافية والتجارية والعلاقات الدولية الأخرى مع البلاد الإسلامية فى آسيا الوسطى ، فقد تم تبادل السفراء مع بلاد تركستان ، وكان الامبراطور يحترم جميعاً البلاد الأجنبية احتراماً عظيماً . وكان القانون الدولى الإسلامى يطبق فى عهده بحق على جميع بلاد العالم المسلمة على السواء ، كما كانت الدول غير المسيحية تتمتع بالسيادة التامة فى نظره ، تمارس حق إرسال السفراء وقبولهم ، وكان استقلال دولة ما مستقلاً قائماً بحكم الواقع يعنى فى الوقت نفسه سيادة قائمة بحكم القانون بصرف النظر عن أى اعتراف رسمى بتلك السيادة ، ولقد انحراف القانون الدولى المعاصر انحراماً جذرياً عن هذا المفهوم الطبيعى للسيادة مما أدى الى المخالطة بالحكم على تصرفات دولة ما خلال القرون الماضية على أساس مفاهيم القانون الدولى المعاصر (٣) .

ووصل الإسلام بسلطته الزمنية فى عهد هذا الامبراطور العظيم الى ذروتها ، ومع مرور القرون التى فصلت بين عهد النبى عليه الصلاة والسلام وعهد علماء المسلمين البارزين فى ظل حكم الامبراطور - توصل الدين الإسلامى الى بلوغ أعلى مستويات الحضارة الفكرية ، ولم يكن فى عهد الامبراطور أية معارضة سياسية من قبل من كانوا ضد الإسلام لانهم لم يكونوا ليحجروا على القيام بأى نشاط معاد ، وكان هناك شعور بالحاجة لأن يكرس الامبراطور نفسه لبداءء الحكم الإسلامى فى الشؤون الدستورية وشؤون الادارة الحكومية ، ولما كان حجر الزاوية فى قيام الدول والحكومات هو القوانين المتعلقة بالادارة القضائية والقانونية شعر الامبراطور شعوراً صادراً من صميم قلبه بأنه كان عليه أن يعمل على ادخال المثل العليا الإسلامية فى العقائد والمعاملات بصورة رسمية ، وبالتالي ادخال نظام يقوم على مبادئ تحكم الشؤون اليومية للحكومة والامراد وأساليب فض المنازعات التى تقوم فيها بينهم .

الخطوات المتخذة من قبل الامبراطور فى سبيل اعداد مدونة الفتاوى :

لما كان الامبراطور نفسه فقيهاً فقد كان يهتم اهتماماً عظيماً بالفقه الإسلامى ، وهذا ما جعله يدرك حاجة زمنه اليه ، وكان أول خطوة اتخذها فى سبيل جمع الفتاوى وترتيبها اختياره لكبار علماء الفقه والشريعة ، ممن كان مشهوداً لهم بطول الباع فى هذا المضمار ، وبعد ذلك اتخذ الترتيبات اللازمة لى يحصل هؤلاء العلماء المختارون على التمويزات المالية المناسبة ، وفى خطوة ثالثة أصدر الامبراطور أوامره بجمع كل ما يمكن جمعه من الكتب والمؤلفات لتكون مراجع تسهل على العلماء المهمة الموكولة اليهم ، وأخيراً اقام الامبراطور نفسه مراقباً ومتتبعا للعمل على أساس يومى وبذلك كان يطلع يومياً على ماتم انجازه من أعمال .

وقد اتخذ الامبراطور هذه الاجراءات جميعها خلال أربع سنوات من تسلمه العرش وعين مجلس الفتها فى سنة ١٠٧٣ هـ ، وكان من مقاصد الامبراطور

بالإضافة الى ما ورد ذكره اعلاه ان يتم بشكل نظامى ترتيب الآراء الفقهية الموثوق بها ، التي جاء بها المجتهدون السابقون ، والتي كانت مبعثرة فى العديد من كتب الفقه والفروع وذلك لكى يمكن وضع مؤلف شامل وسجل ترجع اليه المحاكم والأفراد غيا يتعلق بشؤون دينهم ، ويمكن القول بالاستناد الى الوثائق المتوافرة ، بأن العلماء والفقهاء الذين ساهموا فى جمع كتاب الفتاوى كانوا ذوى الأسماء التالية :

الملا نظام الدين برهان بورى رئيسا لمجلس الفقهاء ، الملا وجيه الدين من غابا ماو ، الملا حميد جاونبورى ، القاضى محمد حسين جاونبورى ، الملا جلال الدين محمد جاونبورى ، السيد نظام الدين ثتاوى ، الملا محمد جميل صديقى ، مولانا شافع سرهندي ، القاضى محمد أبو الخير ، الملا أبو واعز هوغى الملا وجيه الرب ، الملا زياد الدين محدث ، السيد محمد قباوجى ، الشيخ رضى الدين بهافا البورى ، الملا محمد أكرم لاهورى ، مولانا محمد فائق ، القاضى على أكبر سمع الله خاى ، السيد عناية الله مونفرى ، الملا غلام محمد لاهورى ، الملا نصيح الدين جنرى ، الشيخ أحمد خطيب ، الملا محمد غوث ، الامير ميرغان علامة الآراء ، وغيرهم من أكابر العلماء .

وقد تم ترتيب العمل بحيث عهد الى الشيخ وجيه الدين من غابا ماو القيام بالربع الأول من العمل ، وعهد بالربع الثانى الى الشيخ جلال الدين محمد جاونبورى ، وأعطى الربع الثالث الى القاضى محمد حسين جاونبورى وخصص الربع الرابع للملا حميد جاونبورى . وقد الحق بكل من هؤلاء العلماء الأربعة عدد من المستشارين وعلماء الشريعة ، وكان عليهم القيام بجمع كتب الشريعة الموثوق بها ، والمذاهب الفقهية الإسلامية وترتيبها حسب تسلسلها الزمنى ، وترأس الملا نظام الدين العلماء الأربعة المذكورين ، وكان هو بدوره مرتبطا ارتباطا مباشرا بالامبراطور ، وكان الملا نظام الدين بوصفه رئيسا لمجلس الفقهاء يستدعى يوميا لمقابلة الامبراطور ليطلعهم على ما تم انجازه من أعمال ، وذكروا أن الامبراطور كان كثيرا مايبدى ملاحظات انتقادية على العمل اليومى المنجز ، الذى كان يقدر بحوالى ثلاث أو أربع صفحات يوميا ، كما كان يشير الى بعض النواقص فيما يقدم اليه من مسودات ، وقد استغرقت عملية جمع الفتاوى فترة ثماني سنوات ، وقدرت تكاليفها المالية بحوالى ثمانية لآحات من الروبيات أى (٨٠٠.٠٠٠) روبية (وهذا يعادل - على أساس النظام النقدي الحديث والتطورات الاقتصادية الطارئة - حوالى ثلاثين لآحا من الروبيات ، أى ثلاثة ملايين روبية) .

وقد جمعت الأحكام الفقهية باللغة العربية ، وسميت (بالفتاوى المالكية) ، واحتوت على عرض موثوق به لأحكام الشريعة وقوانينها واجتهاداتها ، وعلى علوم الدين ، واتخذت صفتها الرسمية على شكل مرسوم امبراطورى ، وقد ترجمت هذه الفتاوى فيما بعد الى اللغة الفارسية بناء على رغبة ابنة الامبراطور (٤) .

مصادر الفتاوى ومحتوياتها :

نظرا الى أن الامبراطور نفسه كان مهتما بعملية جمع الفتاوى ، فانه يقال

بان مجموعة الفتاوى استندت بصورة رسمية على المراجع الموثوق بها فى أحكام السنة والمذهب الحنفى ، وتسجل مجموعة الفتاوى هذه خطوة رائعة فى تاريخ قوانين الشريعة الإسلامية بالهند ، وبالنظر لأساليب العمل التى اتبعت فى إعداد مجموعة الفتاوى والترتيب النظامى لموضوعاتها فانها تتنوع على جميع المجموعات الفقهية التى تم إعدادها فى الهند سابقا ، وعلى الأخص منها (الفتاوى التارخانية) فى زمن الإمبراطور فيروز شاه تغلاق فى القرن الرابع عشر الميلادى و (الفتاوى الإبراهيم شاهية) المنسوبة الى إبراهيم شاه شاركى فى القرن الخامس عشر ، وان الكتب التالية تعتبر من أهم مراجع الشريعة الإسلامية والاجتهاد وعلوم الدين التى تم الاستناد اليها فى تحضير مجموعة الفتاوى المالكية :

١ - (الهداية) لبرهان الدين أبى الحسن على بن أبى بكر المرغانى المرغينانى (٥١١ - ٥٩٣ هـ) وقد كتب هذا الكتاب بصورة متواصلة خلال ثلاثة عشر عاما .

٢ - (الوقاية) و (شرحها) لمبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة .

٣ - (النقاية) لمصدر الشريعة ، مع شروح : الشيخ تقي الدين أبى المباس أحمد بن محمد الشمنى ، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المعروف بابن العيني ، والشيخ عبد الواحد بن محمد ، والشيخ علاء الدين على ابن محمد ، والعلامة قاسم بن قطلوبغا ، والشيخ محمود بن الياس الرومى ، ومولاي شمس الدين محمد الخراسانى القهستاقى ، وأبى المكارم بن عبد الله ، والملا على القارى .

٤ - (كتاب الطحاوى) وهو المعروف بشرح معانى الآثار ، للإمام أحمد ابن محمد بن سلامة الأزدي .

٥ - (كنز الدقائق) لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى .

٦ - (كتاب القدورى) لأبى الحسين أحمد بن محمد القدورى .

٧ - (المحيط) لبرهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد بن المصدر الشهيد .

٨ - (المحيط) لرؤفى الدين محمد بن أحمد السرخسى .

٩ - (الجامع الصغير) للإمام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى .

١٠ - (المبسوط) ويقال له (الأصلى) للإمام محمد أيضا .

١١ - (الكافى) للحاكم الشهيد جمع فيه سنة من كتب الإمام محمد .

١٢ - (منية المصلى) لسيد الدين الكاشغرى .

١٣ - (فتح القدير) للحدث الفقيه ابن الهمام (بالنسبة للأجزاء الخمسة الأولى من شرح الهداية وتكملته (نتائج الأفكار) للمفتى أحمد شمس الدين قاضى زاده (بالنسبة للأجزاء الباقية) .

١٤ - (النوازل) للإمام أبى الليث السمرقندى .

١٥ - (بدائع الصنائع) لأبى بكر بن مسعود الكاسانى .

- ١٦ - (السراج الوهاج) لأبى بكر بن على الحدادى شرح به القدورى .
 ١٧ - (كتاب الزاهدى) لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدى شرح به القدورى .
 ١٨ - (المفتى) للحاكم الشهيد .
 ١٩ - (البحر الرائق) لزين الدين بن نجيم .
 ٢٠ - (العناية) للشيع اكمل الدين محمد بن محمد البابرئى .
 ٢١ - (جامع المضمرات) لجمال الدين يوسف بن عمر الكادورى ، شرح به القدورى .

ومن المؤلفات القيمة التى تم الرجوع اليها بالاضافة الى ماورد ذكره :

الفنية - زيادات الجامع الكبير - المختار - الفخيرة - غاية البيان -
 البرجندى - البنائة - الزبدة - التهذيب - الاختيار - فتاوى قاضيخان -
 الفتاوى القنارخانية - معراج الدراية - التمرائى - الجوهرة النيرة - غياث
 السرنجى - جواهر الاخلاطى - الفتاوى البزازية - - لمصول العمادية -
 الفتاوى السراجية - التجنيس - مختار الفتاوى - خزانة الفتاوى - الفتاوى
 الكبرى - الفتاوى الصغرى - الحاوى للقندسى - الفتاوى المخبية - خزانة
 المفتين - النهر اللائق - مجمع البحرين - التنوير - الشمنى - خزانة الفقه -
 البرهانية .. الخ ..

وقد جمعت هذه المؤلفات كلها ، ودرست بعناية فائقة ، وتمحصت محتوياتها
 تحصنا دقيقا ، وصنفت حسب درجة الوثوق بها ، وذلك لغاية الاستعانة بها فى
 عملية جمع الفتاوى المالكيرية ، وكان على القائمين بعملية جمع هذه الفتاوى
 أن ينظموها بحيث يمكن استخراج مبادئ عامة منها قابلة للتطبيق ، ويزيلوا ما
 علق بها من خلافات ، أو ما كان منها مثارا للشك أو الجدل

وقد تم تبويب الفتاوى :

أ - المقدمة وتشتمل على سبب تأليف الكتاب وفضل الملك أورائك زيب فى
 ذلك ، وأن جامعيه اقتصر على الفتى به من المسائل الفقهية ، ومن ظاهر
 الرواية فى المذهب الحنفى غالبا ، والاشارة الى اصطلاحهم فى عزو النصوص
 الى مراجعها ..

ب - الفصول الرئيسية وتشمل الموضوعات والكتب التالية :

كتاب الطهارة - كتاب الصلاة - الزكاة - الصوم - والمناسك - النكاح -
 الرضاع - الطلاق - العتاق - الأيمان - الحدود - السرقة - السرير -
 اللقيط - اللقطة - الأباق - المفقود - الشركة - الوقف .
 كتاب البيوع - كتاب الصرف - الكفالة - الحوالة - كتاب ادب القاضي -
 كتاب الشهادات - كتاب الوكالة - كتاب الدموى - كتاب الاترار - كتاب
 الصلح - المضاربة - الوديعة - العارية - الهبة والإجارة - كتاب المكاتب -

وكتاب الولاء - وكتاب الاكراه - كتاب الحجر - كتاب المأذون - كتاب الغصب - كتاب الشفعة - كتاب القسبة - كتاب المزارعة - كتاب المعاملة (أى المارسة) - كتاب الذبائح - كتاب الاضحية - كتاب الكراهية - كتاب الرهن - كتاب التحرر - كتاب احياء الموات - كتاب الشرب - كتاب الاثرية - كتاب الصيد - كتاب الجنائيات - كتاب الوصايا - كتاب المحاضر والسجلات - كتاب الشروط - كتاب الحيل - كتاب الخنى - كتاب الفرائض .

وقد اشار الذين قاموا بمصنوعة جمع الفتاوى الى المصادر المتعددة التى جمعت منها الآراء الفقهية . كما أنهم قبلوا هذه الآراء بتعليقات حول المفتين الذين أدلوا بتلك الآراء ، وشملت عملية جمع الفتاوى جميع ميادين الشريعة الالهية التى أعتدت فيها بعد لتكون المرجع القانونى الأساسى الى جانب المؤلفات المعروفة فى فقه الشريعة .

وقد تناولت محتويات الفتاوى المذكورة كل مظهر من مظاهر الحياة الإسلامية الاجتماعية والدينية للفرد والمجتمع على السواء ، وعلى هذا الأساس خصصت فصول مستقلة للأمور العائدة للمعاملات الفردية والاجتماعية وللسلوك الدنى ، ولادارة القضاء ، ولشؤون الدولة الداخلية والخارجية .

واحتوت الفتاوى على قواعد محددة للتفسير والتأويل ، ورغبة فى حسن تفهم المسائل الفقهية بشكل مناسب فقد رأى أن يستخدم جامعو الفتاوى اصطلاحات توضح المسائل المبحوثة ، وعلى هذا الأساس ، استخدم التمييزان التاليان ، وهما : هو الصحيح ، وهو الأصح ، للتمييز بين قوة الآراء الفقهية التى تم جمعها والتى تتعلق بمسألة معينة من المسائل الفقهية ، وكذلك الحال بالنسبة لتعبير : (عليه الفتوى) وهذا للدلالة على أن الرأى الفقهى يستند الى سلطة اغتائية ، (* *) وتعبير (عليه الاعتماد) وهو يعنى بأن علماء الشريعة ينتهون بالرأى الفقهى موضوع البحث ، وإذا أخذ عامة الناس برأى شرعى ما يشعرون حينئذ الى هذا الرأى بعبارة : (عليه عمل الأمة) . أما اذا كان التعامل الجارى يأثف مع رأى شرعى فيشعرون اليه بعبارة : (عليه العمل اليوم) . وهذه التعبيرات المستعملة لتمييز الآراء الفقهية قد اختلفت بشكل يمكن معه بيان الرأى الفقهى المغفل .

كل ما سلك يدل دلالة واضحة على ما للفتاوى العالمية من قيمة كبيرة ، وما لها من وضع مرموق بالمقارنة مع غيرها من كتب الشريعة والاجتهاد فى العالم الإسلامى ، وفى الحقيقة يقال بأنه ليس هناك من عمل فقهى يماثل ما تنصف به الفتاوى العالمية من ميزات خاصة بها حتى أصبحت مرجعا أساسيا فى كل الاقطار الإسلامية حتى بلدان العالم العربى (٥) .

وقد تميز عهد الامبراطور أورانك زيب فى تاريخ الهند بإدارة قضائية وقانونية نزيهة . والادارات التالية كانت الادارات الرئيسية فى الدولة :

- أ - إدارة الخزينة العامة والإيرادات تحت إشراف الديوان العالى .
- ب - البلاط الملكى تحت إشراف خان الزمان أو كبير الحجاب .
- ج - النفقات وإدارة المحاسبة العسكرية تحت إشراف البكشى الإمبراطورى .
- د - الهيأت الدينية تحت إشراف الصدر الأعظم (ويدخل تحت إشرافه أيضا أمور الإحسان والصدقات) .
- هـ - القوانين المدنية والجزائية تحت إشراف كبير القضاة .
- و - مراقبة الأخلاق العامة تحت إشراف المحتسب .
- ز - وفى نطاق الإدارة القضائية يعتبر قاضى القضاة القاضى الأعلى .

وكانت إدارة الولايات تسير على هذا النمط نفسه مع بعض التغيرات المحلية ، ويروى المؤرخون بأن الإمبراطور كان فى مناسبات عديدة ينتقد الأحكام الصادرة عن المحاكم الدنيا ، وكان يشعر بأن بعض هذه المحاكم لا تلم المالم كافيا بالتوائين ، وكان هذا بالإضافة الى الرغبة السائدة آنذاك ، من الأسباب الرئيسية التى حملت الإمبراطور على تنفيذ مشروع جمع الفتاوى (٦) .

وفى مجال الإدارة القضائية صدر الأمر بأن توضع الفتاوى موضع التطبيق والتنفيذ ، وهكذا فقد ورد عن بعض المؤرخين ورواها السيد م . ب أحمد (الصفحة ١٨٦ وما يتبعها) بأنه كما جاء فى الجزء السادس (الصفحة ٢٤٩ - ٣٧١) من الفتاوى العالمية : (لا يجوز ائلاف سجلات القضايا ويجب اتاحتها بقاء على الطلب الى المحاكم الأخرى) .

(انظر الأمر الصادر عن أورانك زيب فى قضية عظيمة الله ضد غلام محمد فى الباقيات ص ٥ وكذلك ص ٢٤ ، وانظر كذلك سفر العوض ص ٦) وعندما كان أورانك زيب يعيد قضية ما لإعادة النظر فيها لم يكن يكتفى بإعطاء توجيهاته الى المحكمة التى أعيدت القضية اليها ، وإنما كان يشير الى القواعد والإجراءات التى غفلت المحكمة عن اتباعها ، وفى قضية استثنائية تتعلق بموضوع كفالة وجد أورانك زيب اجتهاد المحاكم الدنيا معينا (بوجه شرمى) (انظر الكلمات الطيبات) وبالإضافة الى ذلك أدخل الإمبراطور إصلاحات قانونية تبعا لحاجات زمانه ، فقد روى أنه أدخل نظام السجن الاحتياطى ، الذى أخذ به فى قانون أصول المحاكمات الجنائية لعام ١٨٩٨ م فى عهد الإدارة البريطانية ، كما أصدر أوامره بأن يبت فى القضايا الجنائية بسرعة وثون أى إبطاء ، وكذلك أوعز بضرورة تعيين وكلاء للدفاع عن المتهمين المغوزين ، وقام بالإضافة الى ذلك بإصلاح نظام الاستئناف ، وهذا كله غيض من فيض مما قام به أورانك زيب من خطوات إصلاحية (٧) . ويقال بأن العلاقة بين الجهاز القضائى والجهاز التنفيذى فى عهده كانت على العموم حسنة ، ومما لا شك فيه أن شخصية الحاكم كانت عاملا أساسيا فى حسن إدارة الدولة ، وفى عهد عالمكير كانت قرارات المحاكم تحظى بالطاعة كما كان القضاة يتمتعون باحترام مطلق ، ومن الأمثلة البارزة فى هذا

الصدد أن السيد ميرزا كوتشاك حاكم لاهور أصدر أوامره مرة بإجراء تحقيق في بيت السيد على أكبر قاضي لاهور الذي كان يشك بأنه أقدم على قتل اثنتين من أماله وقد فضّل حاكم لاهور أن يقدم على الانتحار على أن يذهب لمقابلته أو انكزيب ليشرح له ملاسبات قتل القاضي على أيدي رجال الشرطة بسبب محاولة القاضي منع رجال الشرطة من إجراء التحقيق (٨) . ومثل هذه الأمثلة التي رواها ساركار (الجزء الخامس ص ٤٢١ ، خالي خان الجزء الثاني ص ٤٣٦) تدل دلالة واضحة على أن خضوع القضاة لسلطة الملك لم تؤثر على حريتهم القضائية (٩) .

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد ٣ صفحة ٩٩ وما بعدها من الطبعة التاسعة أدنبره .
(٢) للتفاصيل انظر مآثر عالمكبرى ، عالمكبر — ناما ، رقعة عالمكبرى ، منتخب اللباب ، فتوحات عالمكبرى .

(٣) مآثر عالمكبرى ٤١ — ٦٤ ، ٦٦ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤١ (ترجمة ج ، ن ساركار) ، أسس القانون الدولي (مقدمة ا . بلييه ، باريس ١٩٠٤) دي ليجاسيونيبوس ليري تريس لالبريكو جنيتلي (ترجمة ج . ج . لينج) طبعة ج . ب . سكوت ١٩٢٤ ، سنة كتب ذات فائدة عامة ل . ج . بودان . (ترجمة ر . كقولز لندن ١٩٠٦) ، ص ٥ . — ألكسندر روفينيثي — ألكسندر : سيادة الخوف والقانون الدولي : دراسات في القانون (كلية قانون بانما ، الكتاب الذهبي للتكاري) ص ١١٥ وما بعدها (دار النشر الآسيوية ١٩٦١ بومباي) .

(٤) ن ب . ا . بيلي : البيع في الشريعة الهندية ، ملاحظات جديدة ، (١٨٥٠) ، م . ب . احمد : إدارة العدالة في الهند في المصور الوسطى (١٩٤١) (ملبرج) ، ه . م . البوت : تاريخ الهند ، المجلد السابع ١٦ ، تحليلات هارينجتون ، المجلد الأول ٢٤١ . الفتاوى المالكية (الترجمة الأردنية طبعة ديوباند ١٩٦٥) جزءا ص ١٦ — ٢٤ ، دائرة المعارف الإسلامية — المجلد الثاني الكراسة ٣٦ (الطبعة الجديدة ١٩٦٤) ص ٨٢٧ .

❖ سقط عند الكاتب فكر ٢٠ بابا مفرقة ، وقد استتركها من كتاب الفتاوى ، المالكية واضفنا كلا منها في ترتيبه (إدارة الموسوعة) .

❖ تعبير « عليه الفتوى » ليس معناه كما فهم الأستاذ الكاتب أن الرأي مستند إلى سلطة افتائية ، أي صادر عن دار فتوى أو مفت رسمي بل معناه في اصطلاح المذهب الحنفي أنه هو الرأي الذي يجب العمل به (إدارة الموسوعة) .

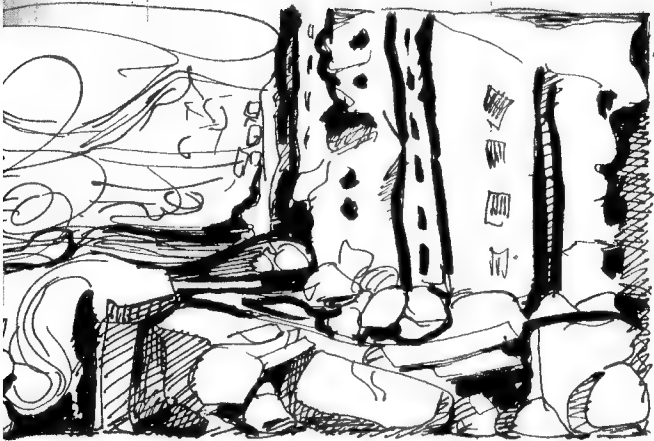
(٥) ج . ن . ساركار ، الإدارة المغولية ، ٢٢ ، الفتاوى المالكية (الترجمة الأردنية ديوباند ١٩٦٥) جزء ١ ص ١٦ — ٢٤ ، خالي خان : منتخبات اللباب (المكتبة الهندية) المجلد الثاني ٢٥١ ، بيلي : المختار من الشريعة الهندية ، المجلد الأول ص ٧ ، ٨ ، م . ب . احمد : المصدر السابق ١ وما بعدها .

(٦) انظر مآثر عالمكبرى ٥٢٩ ، تجلي نور ٧٧ ، ٩٨ ، ١١٩ وما بعدها ، م . ب . احمد ٤٢ ، ج ن ساركار : تاريخ اورانكزيب المجلد الثالث ٨٤ ، م . رة احمدى تعليمات الامبراطور الى حاكم جورجرات ، الفتاوى المالكية المجلد الخامس ١٠٦ — ٢٥١ (الطبعة الأردنية المعادة ١٩٦٤) في لاهور باسم الفتاوى الهندية (.

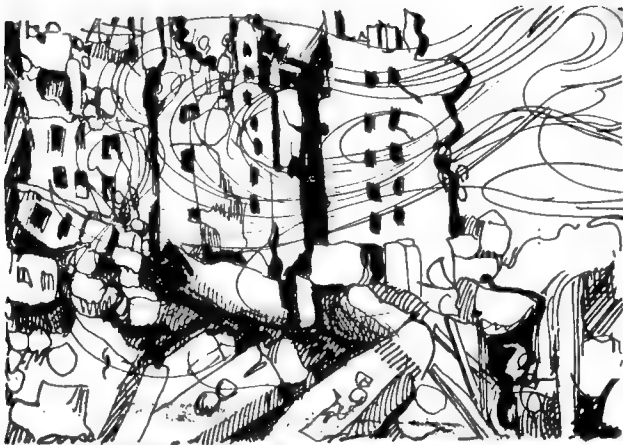
(٧) انظر عالمكبر ناما ١٠٧٦ وما بعدها ، زيمانوشي : تاريخ الخو ل . ا . س . لندن م . ب . احمد : المصدر السابق ٢٠٦

(٨) م . ب . احمد ٢٧٦ ، (مانوشي) ستوريا . الجزء الثاني ٢٥٤ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٧٢ وما بعدها ومراجعتها .



قصّة من
الأدب
الديني



للاستاذ: محمد بهب البومي

شعر ابليس بالارهاق الشديد .. فقد توالت الاحداث وتكاثرت .. واخذ بعضها برقاب بعضى ... وكان يلث بالليل والنهار ... كي يوالى ارشاد اتباعه ... وانصاره .. عما يجب ان يفعله ... وكان قد اتخذ له اماكن اقامة مختلفة — فى فيتنام وكبوديا .. وامريكا اللاتينية واميركا غير اللاتينية .. وجنوب افريقيا والتبت وغيرها .. وغيرها ..

لقد كانت له مراكز فى كثير من هذه الاماكن .. غير ان محل اقامته فى الشرق الاوسط لم يكن فى الشرق نفسه .. وانما كان رؤوس اقوام آخرين فى الغرب .

انه يوسوس فى هذه الرؤوس .. فتمتد خفافيش التوايا السوداء .. من الرؤوس الى الايدى فتوقع قرارات — بارسال المزيد من الطائرات والاكثرونات الى « ترسانة » الاسلحة والعدوان فى الشرق الاوسط .

على كل حال .. ليس هذا هو الجديد ... انما الجديد ان ابليس شعر بأنه مرهق .. متمب ... مريض — وكان يبدو لشاحب الوجه مرتجف الاوصال ...

وقال الذين من حوله : مسكين جدنا الملعون .. انه يحمل على عاتقه اعباء مئات الملايين من السفين .

وقال شيطان صغير للشيطان آخر وهو يحاوره : —
كم تظن النسبة المئوية من الناس الذين يتبعون جدنا الكبير ؟

فقال صاحبه : —

ربما يزيد اتباع جدنا في هذه الأيام عن خمسين في المائة من الناس ..
فضحك الذي عنده شيء من العلم الأسود وقال : —
سوف يموت جدنا كمدا لقلة انصاره اذا قلت نسبتهم في العالم عن
تسعين في المائة أو أكثر .

■ تقول تسعين في المائة من البشر ... ؟

هذا هو الحد الأدنى والا انهيار كمدا
ورأيت فترة من الصمت على الاثنين .. كان كل منهما ينظر الى الآخر
في عجب ولكن أولهما صاح :
مالي أراك أنت الآخر صاحب الوجه ترتجف .. ؟ هل هذا اشتياق منك
على الجد الكبير ؟ ان الشفقة ليست من طباعنا .. انتفضى على أبينا ان
يموت كمدا ؟

فضحك الآخر حتى اهتزت جبال الجليد في القطب الشمالي ، وتساقطت
قمبها من زلزلة ضحكاته ثم قال : —

لا تخف يا اخانا فان أبانا لن يموت ... الموت أمل عظيم ان يتحقق لأحد
منا ... لقد أمهنا الى آخر الدهر ... ثم نساى يوم الساعة الى الهول
الكبير ... لقد تحدثت عن موت جدنا على سبيل الأمنية التي لن تتحقق ...
الموت نعمة حرمتنا منها ... علينا أن نواصل حمل هذه الرسالة السوداء ..
التي ناء بحملها عبر الأجيال جدنا ابليس حتى اصيب بالارهاق الشديد .
وبينما كان هذان الشيطانان الصغيران على هذا المنوال في الحديث ...
اذ هب اعصار شديد اقتلع الأشجار من جذورها ، ثم انفجر زلزال أطاح
ببنيان مدينة كانت قائمة على مقربة منهما ... وانتشرت ريع عفنة حتى هم
أحدهما أن يسد أنفه فضر به الآخر على يده وقال : لا تفعل ... فان هذه هي
ريح جدنا انه على وشك الوصول وهذه هي علامات قدومه ..

وفجأة سمعا التحية التقليدية : عليكما اللعنة ...
فسجدا حتى مست الأرض منهما الحياه وصاحا في صوت واحد : —
اللعنة الكبرى لسيادتكم ... لعنت أينما كنت يا أبانا .. يا من يفرخ الشر
ويتضاعف في ركابك ..

فرح ابليس الكبير بهذه التحية ، وطلب اليهما أن يستويا قائمين
وقال : — انه كان في أقصى الغرب حيث اقيم حفل كبير في بلد هناك . قال
قائل منهما : — حفل كبير في بلد غربي ...!! ولكن لماذا تحظى الاطفال
هناك بتثريتك اباهما .. ؟

زم الشيطان شففته اسفا لغباء حفيده وقال —
يبدو انكما لا تطالمان جريدة « على الدنيا الخراب » ..
فظهر الأسف في وجهيهما وقالا : —

لأول مرة سوف نقول الحق ... فاغفر لنا هذه الخطيئة ... اننا لم نعد نقرأ صحيفة « على الدنيا الخراب » منذ أن تركت أنت تحرير المقال الرئيسي فيها .

فقال الجد .. هناك لذلك عدة اسباب ... اولها انه لم يعد هناك من سبب كبير للكتابة .. ان الخراب لم يعد في حاجة الى وصف ، والذين يخربون بيوتهم بأيديهم لم يعودوا في حاجة الى توجيه ، انما أنتم ايها الأغبياء ما زلتم في حاجة الى المزيد من العلم الأسود ، هيا معي الى الأعلى ، سوف ترتفع فوق الأرض الف ميل كي تنظروا اليها فتبدو لكم كالكرة الصغيرة في يد طفل ، وحين تدور تحت أنظاركم فسترون الأحداث التي تجري عليها كأنها رواية مما يشهده البشر في دور الصور المرئية .

وتم تنفيذ ذلك ، وأخذ الشياطين ينظرون الى الأرض من بعيد ، وكانت أحداثها تجري تحت عين كل شيطان لقد بدت الكرة مشتعلة من أقصاها الى أقصاها ، ودخان الدافع ، والقنابل ، والبارود ، يكاد يغطيها ، وتصور احد الشياطين انها تبدو تافهة ، وفي مقدوره بقبضة يده أن يحطها ، وقرأ صاحبه ما يدور في خلده فقال 1 : حذار أن تفعل — لقد أصبحت الأرض بهذه الصورة قرة لأعيننا .

وأخذت الأرض تدور وتدور ... مرات ومرات .. تسحت انظار الشياطين ... وكلما دارت دورة راوا نارا يتطاير شررها ، ودخانا يعم البقاع ، وسمعوا صراخا يتبعه صراخ ، وقبوراً تحفر .. وأخذ احد الشياطين يصفق بيديه فرحاً مسروراً وهو ينظر الى الكرة من الشرق ومن الغرب ، ومن الشمال ومن الجنوب ، فلا يجد شيئاً غير الصراخ والعمويل ، حقول تحترق ، ودور تنهار ، أطفال أبرياء يذفنون اهداء تحت جدران مدارسهم ... مصانع تتحطم .. أشجار تنهاوى .

وقال احد الشياطين لصاحبه وهو يحاوره : —
انظن اننا نحن الذين نصنع كل هذا .. ؟

فاجابه الآخر قائلاً ، كيف تتصور هذا ايها الأحق ؟ انهم هم انفسهم الذين يتولون النصيب الأكبر من الأمر . كل ما كان علينا ان نغرس البذور .. ونتركها تنمو .. ولقد فعلنا ، ولكننا نستعد الآن لجولة أخرى ... اننا سوف نضع بذوراً أخرى ، وهذه البذور الجديدة سوف لا تؤتي أكلها الشيطاني على الفور ، سيأتي موعدها بعد حين .

قال الشيطان الصغير : واين نضع هذه البذور ؟

قال الشيطان الكبير : سوف نهبط الى الأرض ، ونستجول في حقول جديدة — هي مزارعنا الجديدة . وهبط ايليس ومعه تلميذاه في مكان ما ، في أقصى الغرب ، حيث وجدوا مئات من بنى البشر — رجالاً ونساءً — عراة كما ولدتهم أمهاتهم يذهبون ويجيئون متعانقين في غير مبالاة بشيء .

مئات من العورات مكشوفات في غير حياء ، وأعمال مخزية تتم في سعادة ، وهم الشيطان الصغير أن يخفي عينيه لولا أن ضرب جده على يده وقال : هؤلاء هم الذين يصنعون المستقبل لنا . فتساءل الصغير وماذا تسمى هذا ... ؟

قال الكبير : يمكنك أن تسميه انحلالاً . هيا معي الى مكان آخر .
وانطلق الشيطان الكبير وتلميذاه الى حيث مئات ومئات أخرى ...

رجالاً ونساء ... صبية وفتيات ، اكواها فوق اكواهم ، وقد تكلت شعور الرجال والفتية فاصبحت مثل شعور النساء سواء بسواء . يتدافعون نحو صيدليات تدهم بصنوف مختلفة من المخدرات — يسرعون بها الى الارصفة ويتهاونون بثمانيتين تحت ضربات موسيقى قوية مزعجة معرودة ، ذات جلابل ، كانوا تحركها يد الجان .
ودخان يتصاعد من الأركان .

قال الشيطان الذى يريد ان يتعلم : وما هذا ؟
ما هذا النوع الأخر من البذور ؟ لقد علمت ان البذور الاولى هسى الانحلال .. فما هذه ؟

قال الجد : يمكنك ان تسميها المخدرات ..
قال الشيطان الصغير : ولكنى ارى الذكور يطلقون شعورهم فيما يشبه الضفائر ، وهم يتفخرون بما يصنعون ، واسمهم يطلقون على انفسهم اسما مخزية ..

قال ابليس : —
انهم يسمون انفسهم (الخنافس) وهو اسم يدل على منتهى ما وصلوا اليه ، هوام خرجت من الجحور لتعيش على سطح الأرض ، الا يدل هذا الاسم الذى اختاره لانفسهم على مستواهم !! انهم خنافس — انهم بذلك يفرحون ... انهم بهذا الوصف يتفخرون ، هلا سمو انفسهم اسودا .. أو نهورا .. أو حتى جيادا أو حميرا .. ؟

لا .. انهم لم يفعلوا ، لقد صدقوا فى وصف انفسهم ... خنافس ..
انه الاسم الذى ينطبق تمام الانطباق على الذين يأخذون انفسهم بالانحلال ، والمخدرات . لقد ابتلعوا الطعم الذى اتيههم فصاروا خنافس ، ومن يدري فلعلك تسمع بعد ذلك انه سيكون من ثورتهم من يطيب لهم ان يطلقوا على انفسهم صراصير ، ومن يدري ايضا .. فلعل الأمر يصل بنجر من بنى البشر ان يستقروا فى هذا التحول ليكون منهم بعد الخنافس فئات مثل الخنازير ، والقردة ، والخفافيش وابناء آوى ..

هل الشيطان الصغير ، وضرب بيديه ، ورقص ، فكل مناظر سوف تكون رائعة .. سوف يرتد الذين خلقوا فى احسن تقويم الى اسفل سافلين ..

وأخذ ابليس يابدى تلاميذه وراح يطوى الأرض طيا .. غير انه فى جوف الليل .. فى مكان ما فى الشرق بدت مآذن .. وساحات .. ورجل ينادى ، وقد اوشك النهار ان يبين ... بان هناك ماهو خير من النوم .
الرجل يقرع طبلا ، وهناك آخر يصعد الى مئذنة ، ويرسل فى سمع الدنيا اذان الرانع ... وراح الشيطان يتطلع الى البيوت والى الطرقات فاذا قوم يسرون ، يلبون النداء ، مهطعين الى الداع ... فى وجوههم نور ، وبين ايديهم نور .

قال الشيطان الصغير متسائلا .. من هؤلاء ؟ وما هذا الذى يصنعون ؟
قال جده الكبير فى غيظ كظيم : اولئك الذين لو اشتدت يقظتهم لضاع امرنا ، وتهدم بنايتنا ، انهم حراس الحقول الذين ناموا عنها فقمنا فى غفلة ووشمنا البذور .

هؤلاء الذين لو اشتدت يقظتهم فان الامر سوف يتبدل .
وضحك الشيطان الصغير مرة أخرى ... لو ...

رُكْنُ الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة إلى موسوعة الفقه الإسلامي

على الصعيد العالمي :

انتبهنا في عدد سابق من استعراض مختلف المجالات الدولية التي هي بحاجة ملحة إلى موسوعة الفقه الإسلامي .

وقبل أن ننتقل إلى بحث آخر نشعر أن ثمة سؤال يفرض نفسه وينبغي أن نتعرض للإجابة عليه ، وهو : ليس فيما كتبه المستشرقون عن الشريعة الإسلامية ما يقنى ويسد الحاجات التي تحدثنا عنها في الأعداد الماضية ؟

ونحب أولاً أن نشير إلى وجود العديد من أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات الأوروبية والأمريكية التي تمتنى بتدريس الشريعة الإسلامية ، كما تشرف على رسائل دكتوراه لمن أراد البحث في الشريعة . وكذلك يقوم الأساتذة المستشرقون بتأليف الكتب للدراسات الجامعية وغيرها في موضوعات في الشريعة الإسلامية .

وليس في نيتنا أن نستعرض قوائم الكتب والأبحاث ، حتى لا يضيق القارىء في متابعة كتابات المستشرقين

بمختلف اللغات ، إذ الحقيقة أنها تعد بالآلاف ، وأنها بدأت تبرز منذ القرن الثامن عشر ومطبتها أصبح نادر الوجود لا يحصل عليه إلا في دور الكتب الخاصة بهذه المراكز الاستشرقية ، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض ما أنتجه المستشرقون المعروفون في مسائل الشريعة الإسلامية في السنوات الأخيرة :

— خطوط مريضة في الشريعة المحمدية لألف مبيضي الهندي (باللغة الإنجليزية) في حوالي ٥٠٠ صفحة .
— مصادر الفقه المحمدي ليوسف شاخنت الألماني الأصل (باللغة الإنجليزية) في حوالي ٣٠٠ صفحة .
— مدخل للشريعة الإسلامية ليوسف شاخنت (باللغة الإنجليزية) في حوالي ٢٠٠ صفحة .

— المختار من الشريعة المحمدية (وهو مختصر للفتاوى الهندية) لنيل بيلي (باللغة الإنجليزية) في حوالي ٨٠٠ صفحة .

— دراسة في الشريعة الإسلامية المقارنة للينانتدي بلغوند الفرنسي (باللغة الفرنسية) في حوالي ٩٠٠ صفحة .

— مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية للمويس ميلبو الفرنسي

(باللغة الفرنسية) فى حوالى ٨٠٠ صفحة .

— مصادر وتطور الشريعة الإسلامية لجيد خذورى (باللغة الإنجليزية) فى حوالى ٣٥٠ صفحة .

— ويتضح من هذه الأمثلة ، وهى قليل من كثير ، أن إنتاج المستشرقين على الصعيد الفقه العام الإسلامى لا يعدو أن يكون دراسات موجزة تتناول جميع فروع الشريعة فيما لا يتعدى الألف من الصفحات ، وغالبا ماتكون الآراء مستمدة من مذهب واحد أو مذهبين من مذاهب الفقه الإسلامى ، مما لا يجد طالب الاستزادة بغيته فيه .

— هذا من جهة الحجم ومدى التوسع فى الدراسة .

أما من جهة صحة الآراء المنسوبة الى الفقه الإسلامى وسلامة الحكم عليها ، فإنا نجد الكثير من الأخطاء غير المقصودة ومن القصور فى فهم الآراء وعرضها ، وهذه نتيجة طبيعية لصعوبة المراجع الفقهية القديمة ووعورة مسالكها على أبناء العربية أنفسهم ، فلا غرابة أن تكون أشد استغلافا على غير المستمكتين من اللغة العربية .

هذا كله مع افتراض حسن النية لدى بعض المستشرقين فى دراسة الشريعة وعرضها ، أما بالنسبة للحاقدين منهم على الإسلام وبعضهم من اليهود والقساوسة فلا غرابة فى أن تنطوى كتاباتهم على الكثير من الدس الخبيث والتحريف الملتوى المعمود ، والامتراء ، وكل ذلك يتلقاه القراء ولا سيما الأجانب أيضا بحسن نية . وهيهات أن يستطيع دقش ما تثيره هذه الكتابات من شبهات ،

مع انتشار هذه الكتابات فى مختلف بقاع العالم وبمختلف اللغات .

فمن كل ما تقدم يتبين أن ما يكتبه المستشرقون عن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن يسد الحاجات التى تحدثنا عنها ، بل أن تصحيح الأخطاء الواقعة فى كتابات المستشرقين أنفسهم — عن قصد أو عن غير قصد — هو إحدى الحاجات الجوهرية التى تتطلب سرعة إنجاز موسوعة الفقه الإسلامى وترجمتها الى اللغات الأجنبية .

بهذا نكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموسوعة على الصعيد العالمى ، وسنبداً فى العدد القادم بإذن الله عرض وجوه الحاجة اليها على الصعيد الإسلامى والله الموفق .

أخبار الموسوعة

تجرى الآن المراجعة النهائية لموسوع الحوالة وهو الموضوع الثالث من الطبعة التمهيدية وسيقدم الى المطبعة قريبا إن شاء الله .

وستكون طباعته بحرف أصغر مما طبع به الموضوعان السابقان « الأثرية » « والإطعمة » وذلك استجابة للأحظاظ وردت الى الإدارة بهذا الخصوص ولتكون أقرب الى حجم الحرف المألوف فى الموسوعات العالمية .

هذا وسيتتابع بإذن الله نشر موضوعات أخرى من الموضوعات الناجزة والموجودة حاليا بملفات الموسوعة والتى أصبح عددها أربعين موضوعا ، وذلك فور الانتهاء من مراجعة كل منها .

ويؤمل فى المستقبل أن يسير عمل

المراجعة بسرعة أكثر متى تمت زيادة عدد الاساتذة المراجعين وهو ما يجزى الآن السعى له في نطاق خطة تدعيم اجهزة العمل في ادارة الموسوعة وزيادة فاعليتها .

بريد الموسوعة

ورد من الاستاذ المفضل الشيخ عبد الجليل عيسى استيفضاح عما اذا كانت خطة الموسوعة تقضى بنقل كل ما ورد في كتب الفقه من آراء وخلافات ، حتى الآراء الفاسدة التي وزدت في بعض كتب المتأخرين والتي تتجافى مع اصول الاسلام العامة كاجازتهم اسقاط الصلاة بالطريقة المعروفة والتي يبرأ منها العلم والدين وان ذكرها بعض الفقهاء المتأخرين مثلا ، وكذا ذكر ما به يعتق الميث من العذاب بقراءة الصمدية كذا الف مرة ، ويسموننا عتاقة ، وما يزعمه بعضهم من ان السنة قد تزرى بالمسلم وعلى ذلك ترتكب البدعة وتكون هي السنة ... فما موقف الموسوعة من مثل هذه الآراء المنكرة : هل تنقلها في جملة الخلافات مع العلم بان المسلمين يرتقبون الموسوعة على انها دين الله الحق الخالص من الشوائب ... وهي جهالات بل ضلالات ، او تهملها ، وعندئذ قد يفتر بصحتها بعض الجهلة ؟

وقد اجابه الاستاذ خير الموسوعة مبينا خطتها التي ينبغي ان يراعيها كتابها في هذا الشأن ويتلخص جوابه بما يلي :

١- ما كان من آراء بعض المتأخرين المذهبيين الذين عرفوا بالاغراب في

التصورات والتفريعات التي تنافي الفقه السليم وتعتبر تشويها له مما يؤسف لوجوده في كتب بعض المتأخرين ، لهذا لا ينبغي ذكره - في الموضوعات التي تكتب للموسوعة - بين فقه المسائل واحكامها الشرعية ، وذلك كالطريقة المعتادة بعد وفاة الانسان لاسقاط ما في ذمته من صلوات متروكة ، ويسمونها عملية (ينقوط الصلاة) التي في صورتها المعتادة هي بالمهزلة المضحكة اشبه ، وقد ذكرها (مع الاسف الشديد) بعض المتأخرين من فقهاء المذاهب ، والمؤسف اكثر من ذلك ان يوجد من فقهاء العصر البارزين المعدودين في فئة المحدثين من يدافع عنها وينشرها في مجلة الازهر ، ويراهها صورة عملية من الدين ، وهي ليست سوى غفلة وشروذ ذهن عن مقياس مقاصد الشريعة وقواعدها التي تلابي قبول الاحتياط على الله تعالى ومن هذا القبيل حيل اسقاط الزكاة . فكل ذلك مما يجب دفنه لا نشره ، لانه من تلويثات الفقه وليس من الفقه . ولكن المهم هو تحديد ما ينطبق عليه هذا الوصف كي يعرف الكاتب ما يأخذ وما يدع . ولا سبيل الا ترك تقدير ذلك للكاتب نفسه . وستكون هناك مراجعة لما يكتب وتنقيح اذا تسرب شيء من ذلك الى الموضوعات المكتوبة .

على انه لا بأس بان يشير كاتب الموضوع في الحاشية اشارة تنبيهية الى هذه الآراء الفاسدة المنكرة اجمالا لا تفصيلا ، في مناسباتها من الموضوع للتخثير من اغترار احد بها وظن صحتها وجواز الاعتماد عليها بين الآراء والخلافات الفقهية المحترمة .



الحج أولا أو الزيارة

السؤال :

هل الأفضل لمن أراد الحج أن يبدأ به أو بالزيارة ؟

الإجابة :

يقول فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق
جوابا على هذا السؤال : —

اتفق فقهاء السلف على جواز البدء بأيهما شاء ، وعلى أفضلية البدء بالمدينة للزيارة إذا كانت في طريقه إلى مكة تيسيرا له وتخفيفا ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خير بين أمرين يختار أيسرهما وأهونهما ، واختلفوا فيما هو الأفضل بالنسبة إلى ليست المدينة في طريقه إلى مكة ، كأهل مصر مثلا ، فذهب علقمة ، والأسود ، وعمر بن ميمون ، إلى أفضلية البدء بالزيارة لا حراز فضيلة الاحرام من ميقات المدينة الذي أحرم منه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته .

وذهب من التابعين إلى أفضلية البدء بالحج ، عبد الرحمن بن يزيد ، وعطاء ، والنخعي ، ومجاهد ، واختاره أبو حنيفة وأحمد ، وبه أفتى الليث السمرقندي .

وماخذ ذلك ، على ما يظهر لنا ، اعتبار الأصالة والتبعية ، كما صرح به النخعي ، ومجاهد ، فيما روى عنهما : « إذا أردت مكة للحج أو العمرة فاجعل كل شيء لهما تبعا » سواء أكان الحج فرضا أم نفلا ، واليه يشير حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي** » رواه الدارقطني ، والطبراني في الكبير والأوسط من طريق حفص بن سليمان القاري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر ، وحفص قد وثقه أحمد وحديثه الآخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من حج البيت ولم يزرني فقد جفائي** » .

وقال صاحب الفصول نفلا عن صالح وأبي طالب : « إذا حج للمفروض لم يبدأ بالمدينة لأنه إذا حدث به حدث الموت ، كان في سبيل الحج ، فإذا كان تطوعا بدأ بالمدينة » اهـ . ومقتضى ما ذكر أن الخلاف إنما هو في الحج المفروض .

أما في النفل : فبيد بالمدينة للزيارة ، ثم يحرم من ميقاتها للنسك ، وقد نقل الاتفاق على ذلك ، ولكن قد علمت مما سبق إطلاق القول بأفضلية البدء بالنسك سواء كان فرضا أم نفلا .

وكذلك القول فيمن يسافر بقصد العمرة ، والزيارة ، وليست المدينة في طريقه إلى مكة ، فالأفضل له على القول الأول البدء بالزيارة ، وعلى الثاني البدء بالعمرة كما صرح به النخعي ومجاهد .

ويظهر لنا ترجيح القول الثاني في الحج والعمرة بأشارة الأحاديث

المسابقة ، غيبدا بالنفسك ثم يتبع بالزيارة ، وان رجح السهمودى الاول ، والسعيد من وفقه الله تعالى لادائهما على اى نحو كان ، والله اعلم بالصواب .

فى النسب

تلقى الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا خير الموسوعة الفقهية هذا السؤال من أحد الشباب المسلمين المقيمين فى أوربا :

السؤال :

عن شاب زنى بأمرأة هناك ، ثم أتت بولود قالت أنه منه ، ونظرا لأهمية الموضوع من الوجهة الإسلامية ، ولكثرة شبابنا الذين يقيمون فى البلاد الأجنبية لفترات طويلة للدراسة أو مسواها ، رأينا نشر الجواب فيما يلى :

الإجابة :

ان الزنى المحض لا يثبت به نسب من الرجل الزانى ولو تحقق أن الولد منه . وان النسب يثبت بالإقرار أو بالدعوى بأن يدعى بأن هذا الولد ولده أو أن يقر بذلك ، ولو لم يبين سببا شرعيا من زواج ونحوه ، فيحصل على سبب شرعى حبلا ، أى يفترض افتراضا أنه ابنه بسبب شرعى كزواج غير مشهور أو وطء بشبهة ، وذلك بشرط أن يكون الولد مجهول النسب ، . (أى ليس له نسب ثابت قبالا من رجل معروف بأنه أبوه) وان يكون المدعى بالنسب والمقر به لم يعطف البنوة على الزنى ، أما إذا قال هو أبنى من الزنى ، فإنه لا عبرة عندئذ لدعواه أو إقراره ، لأن الزنى ليس سببا للنسب ، ولا يثبت به ولو حصل المتحقق بأن هذا الحمل من هذا الزنى ، وأن ثبوت النسب بالدعوى أو الإقرار دون بيان سبب شرعى هو حكم القضاء الذى يبنى على الظاهر إذا وقعت أمابه الدعوى أو الإقرار ، وليس معناه حل هذا الادعاء أو الإقرار ديانة ، فإذا كان الرجل يعلم أن الولد ليس أبنا شرعيا منه لا يحل له ديانة ادعاء نفسه أو الإقرار به ، لأنه بذلك يثبت به حقوقا غير شرعية فى الواقع تزامم ذوى الحقوق الشرعية من مالية وغير مالية .

هذا حكم الشريعة فى مختلف المذاهب الفقهية بل فى أوسعها ، لا أعلم فى ذلك خلافا وإنما ثبت نسب ولد الزنى من أمه فقط فى أوسع المذاهب ، وتترتب بينه وبينها أحكام الأمومة والبنوة من حرمة ونفقة . فان لم يكن لأمه مال منفقته فى بيت المال .

والنفقة بسبب القرابة فرع عن تلك القرابة نفسها : فحيث لا نسب فلا نفقة واجبة شرعا فى حكم القضاء ولو مع العلم بأنه ولد زنى منه . هذا قانون الشرعية الذى يقضى به الغاضى .

ولكن هذا لا يمنع من أن يشتمر الأب من الزنى . (إذا تحقق أن هذا الولد ثمرة زناه) بواجب ادنى نحو هذا الولد الذى جنى هو عليه ، وكان هو السبب فى بجهته الى الدنيا منقطع النسب ، فقدم الى أمه فى صفره واليه فى كبره نفقة تقيم أود حياته .

يتضح مما تقدم أنه إذا لم يعترف بأنه ابنه فى بلاد تلمزه بالنسب أو بحقوق قضائية لو اعترف بذلك ، فإنه لا أثم عليه شرعا وإنما الإثم محيط بعقته من ذلك الزنى وهو الجريمة الأصلية ولا سيما إذا كان غير متحقق أنه من زناه ، وكون الأم كانت بكرًا لا يكتفى لهذا التحقق ، إذ قد تكون بكرًا حين زناه بها ، ثم تخالط غيره بعد ذلك لا سيما فى بلاد تفشى فيها الزنى عمليا ، واعتادته واستباحته كبلاد أوروبا والله سبحانه أعلم .

بأقلام القراء

« الإسلام ومسئولية الفرد في المجتمع »

بعملية خاصة تقدم اليه عدد كثير ، كل منهم يريد أن يأخذ هذا الشرف لنفسه ، ليرجع بإحدى الحسينيين أما النصر وأما الشهادة ، أنها حق صور تذكرنا بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه (احرض على الموت توهب لك الحياة) ومما أدخل السرور على قلوبنا وسيفعل لنا النصر القريب بعون الله أننا رأيناهم وهم على خط النار يؤدون الصلاة في أوقاتها ، فقد استوى عندهم حي على الصلاة وحي على الجهاد . ان العالم العربي والإسلامي لينظر الى أبنائنا على خط النار في كل مكان نظرة التقدير والاحلال ، نظرة الترتب والإصرار ، ينتظرون منهم الوثبة الخالدة التي تمحو العار وتطهر الأرض . أما نحن فنعلمنا الآن ان نقوم بالمسئولية الأخرى ، وهي مد القتاتلين بالمال والسلاح والكلية الطبية والمشاركة الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ، بمعنى أن نعيش معهم وهم على خط النار بوجداننا ومشاعرنا وحواسنا ، فلا يكون قوم من أبنائنا جادين يضحون بالدم الغالي في سبيل الشرف والكرامة والحريية ويكون قوم منا هازلين منصرمين قد نسوا احتلال أرضهم ، ونسوا النار الذي بيننا وبين أعدائهم .

لقد شحنت إسرائيل جنودها في معركة ٦٧ بالسروح المعنوية ١٠٠٪ فاجدر بنا نحن ان نشحن أبنائنا بهذه

كتب الشيخ حماد محمد حماد الواعظ بالقاهرة تحت هذا العنوان يقول : —

القوة في نظر الاسلام ليست الا طريقا من طرق الإصلاح العام وسبيلا من سبل السلام بارهاب المفسدين في الأرض ، ورد كيد المعتدين الأثمين ، قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) . وقال الشاعر :

النواميس تفتت ألا يعيش الضعفاء
كل من كان ضعيفا اكلته الأقوياء .

لقد كنا في زيارة اخوتنا وأبنائنا من الضباط والجنود في جبهة القتال على خط النار فوجدنا والحمد لله رجالا وأبطالا رابضين كالأسود يتحينون الفرصة للقاء العدو اثم شعروا بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهم ، وهي تحرير هذه الأرض السليبية ، وقد ألوا على أنفسهم الا يعودوا الى ذوبهم الا اذا تحررت هذه الأرض ، وعاد اليها أصحابها اللاجئين . لقد نظرنا الى عيونهم غراينا فيها العزم والتصميم والأرادة الصادقة لتطهير هذه الأرض ، رأينا سواعدهم القوية وقلوبهم الفتية المليئة بالايمان العميق .

رأينا صورا مشرقة حقا تحيط بها البطولة والتضحية والفداء ، ماذا طلب قائد عددا من الجنود ليقوم

ولكن الشهوات قد اكتسحت الجميع ، وأصبح التقليد الأعمى سيفا مسلطا على الرقاب لا يستطيع الفرار منه إلا القليل .. ومهما نصح الايمان والملم والعقل والاقتصاد بنى الانسان لهم عن النصح معرضون .

مؤمن عليه أن يحارب العادات السيئة وأن يمرض عن قراء السوء ، والمفروض أن تكون فيه الحصانة الكافية ، والمقاومة اللازمة للأمراض والعادات السيئة التي تند علينا من الغرب ، ولكنه بدلا من هذا أنساق في التيار .

طبيب يعلم الخطر قبل مسواه ، ولكنه أسير العادات .. يدخن بشراهة منقطعة النظير .

اقتصادى يهتم قيمة الاموال وعائلتها اذا استخدمت في أغراض جيدة ، وضررها اذا استخدمت في أغراض سيئة ، وانفتت في مصارف قذرة ، ويعلم بلوى الاسراف ، ولكنه مدخنة بشرية .

عاقل من يحدد التجربة بعد أن سار فيها فترة طويلة من الزمن ، وهو ينصح أبناءه أن لا يكونوا مثله ، ولكن كلامه في واد .. وملازمته للدخنة أكثر من ملازمته للرغيف في واد آخر ، ليت هذه الاموال الطائلة التي تقدر بملايين الجنيهات في كل بلد توجه الى منابع الثروة ومصادر الأرزاق .

اتفق الاخوان الشقيقتان العلم والايمان على عداوة الدخان فهل يكون لهذا الاتفاق ثمرة في الاعراض عنه ، واذا كانت هذه عادة سيئة مضمومة بالنسبة للدول الغنية ، فكيف تقلدها الدول النامية التي تحارب الفقر ..

الروح العالية الموثابة حتى نسترد حقنا المغتصب . وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق النصر على الاعداء في أوامر عشرة ليعرف كل منا مسؤوليته ، وهذه الأوامر أربع منها في وقت السلم قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . وقد تعهد بهما رسول الله وصحابته ، وأربع منها في وقت الاستعداد للمعركة ونحن فيها الآن قال تعالى : - .

«ياايهاالذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » واثنان في وقت الاشتباك مع العدو قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقتنم غنة فاقبوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، وقد أخذ رسول الله وصحابته بها كلها فكان النصر وكانت العزة والقوة والمنعة .

« اخوان شقيقتان »

كتب الأستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول -

زادت نسبة غزو المرض ال رهيب وهو السرطان الذى استعصى علاجه على الأطباء ، وهم يروضونه كما تروض الوحوش المفترسة ، وكثرت ضحاياه ومرائسه للمدمنين على التدخين ، والغريب أن كلمة العلم حين تبعد عن مرحلة الفروض والتجارب ، وتنتفى من حولها الادعاءات ، وتبلغ غايتها وتستقر في النهاية على أسس راسخة متينة وتصبح حقا لا مرية فيه ، ويقينا لا يقبل الجدل تنفق حينئذ مع كلمة الايمان ، وكلاهما يصدر عن واهب الوجود ومغيض النعم ..

نظير الإنسان مع خلق

نشرنا في عدد جمادى الأولى ، لهذا العام ، الحلقة الأولى من سلسلة الحلقات التي يكتبها تحت هذا العنوان ، الدكتور محمد سلام مذكور ، رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وقد بعث إلينا الأخ سفيان كامل برسالة من أمريكا ، يقول فيها أن هذا الموضوع يتصل بدراسته ويدرس عن بعض النقاط التي وردت في القرآن ، وقد أحققنا على الدكتور تفصيل بالإجابة الآتية :

إننا إذ نشكر لمسيادة المسائل اهتمامه بالوفسوع أو تعلقه به ، وهمن ابنه لتجلفاته الكريمة في خطابه ، فإننا نبدأ أولا بتوجيهه إلى أن المقال ليس مقالا طبيا ، وليس كتابه طبيا أو متخصصا في علم الأجنة ، وإنما هو متخصص في فرع من فروع الشريعة الإسلامية ، كما أن المقال ليس الهدف منه بيان دقائق خلق الإنسان في مراحل تطوره ، مما يظهر علم التشريع وعلم الأجنة ، وإنما الهدف من ذلك العرض والنظر والتأمل في خلق الله ، الذي أحسن كل شيء ليؤمن بقدرة جل شانه على بعه بعد الوات ، وبخاصة على ما قممت بداه في دنياه ، حتى يتعمق فيستقيم أمره وتضمن سيرته .

وتلخص استفسارات السيد المسائل في الآتي :

- ١ - المجاهر .. بالجمع .
- ٢ - الظلمات الثلاث ..
- ٣ - الاعتراف قديما بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الإنسان ..
- ٤ - التراب في قول الله « يخرج من بين الصلب والترائب » .
- ٥ - الأفضية الصماء ..
- ٦ - بصمات الأصابع .. ونجيب بالآتي :

١ - جمع مجاهر صحيح من ناحية القياس ، مثل مكتب ومكاتب ، والجمع هنا مقصود به ما يقابل المفرد ، لأن المخترع حينما اخترع المجهر صنع منه عدة أفراد ، سواء أكانت من نوع واحد أم من أنواع مختلفة فإن الجمع هنا لا يفيد أكثر من أن هناك شيئا متعمدا من هذا النوع ، سواء اختلفت صفاته أم اتحدت ، على أنه لا مانع من أن نقصد في التعبير بالجمع الأنواع المختلفة التي ظهرت للمجاهر في قولنا : (وما كان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التي أشار إليها القرآن عن خلق الإنسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر ..) فإن هذا كما نقول : أننا قبل اختراع الطائرات ما كنا نستطيع أن نصدق إلى الفضاء أو نهلل في الجو ، ولو أنك قلت : قبل اختراع الطائرة لأوهم خلاف المقصود ، إذ قد يؤمن أن المخترع إنما هو طائرة واحدة ..

٢ - الظلمات الثلاث تعبير قرآني سليم ، والظلمة لاتدل على مكان ولا فضاء ، وإنما هي وصف

يقوم بالمثل فيجعلها مظلما ، وهذا التفسير للتعبير القرآني ليس من المخترعات ، وإنما هو كلام الآية التفسير ، ويريدون به أن الظلمة هلت في المكان الذي به الجنين ، وزادها تكالفا تحدد الطبقات . فالمشيمة وإن كانت غشاء إلا أنها تحوى الجنين ، وهى داخل الرحم الذى هو داخل التجويف البطنى ، وكلها لا ينفذ إليها الضوء . وهذا كما وصف القرآن الكريم الظلمات بأن بعضها فوق بعض . (أو كظلمات فى بحر لحي يمشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) . وهذا يعنى أن الظلمات وحتت فى البحر ، وزادت بسبب تكاليف هذه الأجسام فحلت دون وصول الضوء والنور ، فكان المثلبي « إذا أخرج يده لم يكد يراها » لوجود هذه الظلمات . . على أن المشيمة وإن كانت تتكون من الأغشية فإنها تصير مكانا يحوى الجنين ، وتقع داخل الرحم الذى يقع أسفل البطن فهو فى مكان مغلقل داخل مكان مغلقل .

٢ - أما عن استفساره الثالث عن التعبير فى قولنا : « وكثيرة مدافع الذفبط والميرة فى امر خلق الإنسان البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة » ، نرى أن المادّة الحية (البروتيلازم) لا تخضع فى تفاعلها للقوانين المادية ، وكلها تتم بتداخل قوى خارجية غير مادية ، وقد قلنا بما قاله الخناتون ، وما انتهى اليه أرسطو فهو يسأل عن مدى هذا ، العلم وارتباطه بمادّة البروتيلازم ، .

ونحن نذكره بأن موضوع مقالنا (فلينظر الإنسان مم خلق) لتوجه الناس الى وجود الخالق وتقرته ، وأن الاتجاه الى معرفة الخالق عن طريق النظر فى خلق الإنسان عرف قديما جدا ، فقد قال الخناتون ، نرامون مصر ، الذى وجه الناس الى دين الله الواحد ، وبين لهم معنى خلق الإنسان وتكوينه من طة تدل على الخالق وتقرته : (... بإمانها الحياة للتصير فى بطن أمه ، متوليا شئونه فى الرحم ، أنه تمنح القدرة على النفس كى يبقى كل من تخلفه هيا لعين هروجه من الرحم) . ومن المعروف أن الخناتون كان فى مصر قبل الميلاد بأربعة عشر قرنا .

فنحن لم نقل أن الخناتون عرف اسم البروتيلازم ، وإنما هو يتحدث عن المادّة الحية التى عبر منها العلم الحديث بالبروتيلازم ، ولذا وضعتها بين قوسين . وكذلك بالنسبة لما قلناه من أرسطو فإنه قد نظر الى بيضى الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الجنين ، وأنهى من نظره وتلكه الى أن هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادّة الحية ، وهذا الوجه القادر شىء فوق طاقة البشر .

فنحن لم نقل أن اسم البروتيلازم قد عرف فى عهد أرسطو ، ولم نقل أن أرسطو درس ذلك فى المعامل وبالأجهزة ، إنما خرج بهذه الدراسة نتيجة التأمل والنظر الذى جات دعوة الله اليه « فلينظر الإنسان مم خلق » الذى هو موضوع المقال .

٤ - التراتب فى قول الله تعالى : « يخرج من بين الصلب والترائب » فالسائل يستفسر عن كم عظام الصدر ، وكيفية اتصالها بالجايض ، ونحن نقول لسببانه : اننى لست طبيبا أو متخصصا فى علم التشريح ، وإنما أنا مشتغل بعلوم الشريعة الإسلامية ، ومتفحص فى فرع منها وهو الفقه الإسلامى ، وما قلته من تفسير للترائب هو ما قاله المفسرون قديما ، ومدون بكفهم ، وليس من المخترعات .

وقد يكون هناك اتصال على أى وجه كان ، بين مصدر المرأة والجايض ، مما يجعل ما قاله المفسرون لا يبعد كثيرا عما ينتجه علم التشريح ، وخاصة أن الشرابين يحد فى الجسد فى جميع الاتجاهات .

٥ - الأغشية الصماء - يسأل سببانه ما المقصود بالصماء ؟ فنقول المراد أن هذه الأغشية لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الهواء ، والتصبير بالأغشية الصماء مصدره ، كتب أساندة كلية العلوم واستاندة كلية الطب ، ولادة وامراض نساء ، (راجع للدكتور نجيب محفوظ كتابه فى الولادة) ، والدكتور عبد الحليم كامل بعته الخشور بمجلة منبر الإسلام ، عدد رجب سنة ١٣٨٤ هـ ، والدكتور

ايدت سيرول في كتابه جسم الانسان ، ترجمة الدكتور عبد المانظ حلمي ، وغيرها من المراجع التي اشرفنا اليها في كتابنا (الجنين والاحكام المتعلقة به في الفقه الاسلامي) سنة ١٩٦٩ ، الذي نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة .

اما ترتيب خلق الحواس الذي يسال عنه سيادته فقد بينته هذه الكتب والبحوث وفكرته في كتابي المذكور ، وقد لا يتسع هذا الرد للكرد ، على اننا قد تعرضي له في هذه السلسلة من المقالات ان وفقني الله ، وانست له صفحات المجلة .

٦ - بصمات الاصابع ، ويسال اخيرا سيادته ماهي علاقة البصمات بخلق الانسان ، وتطور الجنين ، ويقول المعروف ان البصمات معجزة من معجزات خلق الجنين ، ونحن نقول له : اننا بصدد بيان فضل الله علينا ، وعظمة قدرته ، وانه خلق في كل انسان بصمات تختلف عن غيره ، من سائر افراد البشر ، نشير الى ذلك ونربطه بقول الله تعالى « بلا قادرين على ان نسوي بناته » فقد قال كثير من المفسرين المتأخرين في الزمن : ان المقصود بنسوية البنات الاشارة الى هذه البصمات ، وسببين لذلك في موضعه من المقالات المتتابعة التي مستندتها مجلة الوعي الاسلامي لتتكرم بشكورة بنشرها .

واخيرا فان سيادته يسال عن كيفية تغطية الجنين ، وعلاقته بالأم ، وكيفية تطور اقسام الجسم ومقاومة الأمراض ، ووراثة الصفات .. ونحن نقول له اننا سنشير الى ذلك في سلسلة المقالات التي سنوافي بها المجلة بعمون الله تعالى ، ومع ذلك ففي وسع سيادته ان يراجع كل هذا في كتابنا الذي اشرفنا اليه ، ولا ينسى انني استاذ مادة الشريعة الاسلامية ، وان اساس بعثي اسلامي ، وان مقارنتي بالطب وبعلم الاجنة لجرد تقريب الاطوار - التي يمر بها الجنين ، والقي اشار اليها القرآن الحكيم - لذهن القارئ ، والله سبحانه الخلق والماصم من الخطا ، فان كان في شيء مما نقلته او اقول خطأ فمني ، واستغفر الله عليه ، وان كان قد وفقني الله الى الصواب فمن الله ، وهو جل شلته اعلم بالصواب .

واخيرا فاني اشكر للقارئ اهتمامه بالافشوع ، وحرصه على التفهم ، كما اشكر لادارة المجلة توجيه السؤال في للاجابة عليه ، وفقنا الله جبيما لخدمة الاسلام والمسلمين ، ولتبصير الناس بحقيقة الدين ، وان الله سبحانه جعل في خلقنا آية ومعجزة ، ولو نظرنا في انفسنا لآمنا به ، وايضا انه على رحمتنا لقادر والسلام عليكم ورحمة الله .





قالت صحف العالم

كيف فشل الإسلام الصين

ومن مقال بهذا العنوان نشرته صحيفة الأخبار القاهرية نقطف ما يلي :

انهم يريدون عن خمسين مليوناً .. وهم من أكثر المسلمين تديناً في الدول الشيوعية .. ونسبة كبيرة منهم على المذهب الحنفي .. وهم يهيون العرب وتتحدث نسبة كبيرة منهم العربية .. وهم يمثلون عشر قوميات .. ولديهم أربعة آلاف جامع .. والمعهد الإسلامي الذي عندهم يشبه الأزهر لدينا يتفرج فيه رجال الدين .. وقد سمح لهم بالسفر الى الحج سنة ١٩٥٢ ولهم عضوان مسلمان في الحكومة المركزية .. وتثيل في مجالس النواب ..

ويتركز المسلمون في اقليم سينكيانج في الشمال الغربي .. حيث تعيش جماعات (اليوغور) المسلمة وهي تركية الاصل وتزيد عددها على ٥ ملايين نسمة وقد منح هذا الاقليم استقلالاً ذاتياً .
والى جانب ذلك توجد عناصر أخرى من الصينيين (الهان - والكازاخ - والمغول - والقوقاز - والفاها - والأوزبك - والتتار) . ويتركز المسلمون في اقليم (كانسو وتنجسياغوى) - المنفصل - ذاتياً والذي يوجد في الركن الجنوبي الغربي من نهر هوانج (النهر الأصفر) ، ويميش شعب (القوي) المسلم حول هذا النهر حتى اعالي نهر (هوانج) بين مقاطعات كانسو وهونان وتشنغاي ، ويوجد مسلمون أيضاً في مقاطعة (يونان) في جنوب الصين وفي منطقة (زتشوان) الى الجنوب ..

ولكل قومية من القوميات المسلمة عدد من النواب في مجالس نواب الشعب في درجاته المختلفة وذلك بالنسبة لمجموع السكان .. ويهتل المسلمون عدداً من المقاصب الهامة في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهم على درجة عالية من العلم والثقافة ، وكثير من المسلمين وصلوا الى منصب الرياسة للمناطق المستقلة ذاتياً .

واكثر مقاطعة تضم أكبر عدد من المسلمين هي (سينكيانج) أو تركستان الصينية ، وهي أكبر مقاطعات الصين ، وهي ، تقع بين حدود الصين والاتحاد السوفيتي وجمهورية منغوليا الشعبية والمغناستان والتبت وكشمير .. ٨٠% من سكانها مسلمون ، وأغلب مطبوعاتها باللغة التركية (بالهروف العربية) ، وأهلها خليط من الأتراك والمغول والاييرانيين ، وقد توطد الإسلام هناك في القرنين الخامس والسادس عشر .

وقد أصبحت تركستان في العصر المباني من أقوى المناطق التي تشع الثقافة الإسلامية ، من مذهبها (كاشغري ويليغ) وتظهر منها الامام الترمذى ، والنيسابى ، والزمخشري ، والهرجاني ، والقوارزى ، والفارابى وعلى بن سيناء ، وأبو زيد البلخي ، وأبو ریحان البيروني .. وهؤلاء وغيرهم كانوا من أمة العلماء في العالم قاطبة ، والذين أدخلوا العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والجغرافيا والهندسة وغيرها ..

والحقيقة ان أول صلة بين الإسلام وهذه المنطقة تعود الى القرن السابع الميلادي بعد معركة نهاوند التي اكسح فيها العرب ايران ، وحرب ملكهم (يزدجرد) آخر ملوك الاكاسرة الساسانيين الى تركستان .. وقد استجد ابنه (غيول) ملك الصين لهماية من العرب ، لكنه اعتذر من بعد المثة ،

والحقيقة انه كان يغشى بطش العرب ، وان يورط بلاده في معركة معهم .. ورغم ان امتحانه بين العرب والصين كانت متصلة عن طريق التجارة قبل ذلك ، الا ان اول غزو منظم قام به العرب ، كان أيام عثمان بن عفان على منطقة خراسان ، ومنذ هذا التاريخ وهذه المنطقة أساسية للإسلام في آسيا الوسطى ، واستطاعت الدولة الأموية أن تدعم مكانها ، وان تجتاح جيوش العرب كل منطقة تركستان الشرقية وأصبحت (شخر) من أهم المدن الإسلامية منذ ذلك التاريخ وذلك بعد ان استسلمت هذه البلاد تماما في معارك استمرت ١٢ عاما متصلة ..

وقد شهد القرن العاشر اسلام أكثر من (٢٠٠) ألف أسرة أغلبهم من الأتراك بين منطقة طشقند وفاراب .

وكانت مقاطعة .. « كان سوا » تعتبر مركز حربيًا لتفريغ المقاتلين ، وأهم مدنها (لانتشيود) ومعظم سكانها من الأتراك ، وتكتب الحروف باللغة العربية والقرآن يدرس باللغة العربية بهروف عربية ، وللجمعية الإسلامية الصينية أثر ضخم بها لتفريغ العلماء .. وأغلب السكان يتبعون المذهب السني وهم خليط من الشاعبة والهنسية .

وهذه المنطقة في الحقيقة هي نافذة الاسلام على الصين الغربية ويمتاز أهلها بمعرفة أصول الفقه واللغة العربية والشريعة الإسلامية وحفظ القرآن .. وهم من أكثر المسلمين في العالم تدنيا .. وشهدت هذه المنطقة حركات دينية متتالية ، كان آخرها منذ ٦٠ سنة (حركة أهل السنة) ، وبهذه المنطقة أكثر من ٢٢ مسجداً أكثرها مساجد أثرية تعود الى العصر الأموي والعباسي والفرنگي . وبها مسجد عبد الرحمن البغدادي وهو من الذين قدموا في فرقة الإنقاذ وقضى نحبه بها .

الاسلام .. والعالم

نعت هذا العنوان كتبت صحيفة الأهرام القاهرة تقول :

هل يمكن ان يلبد العالم اليوم من العالم الاسلامي .. او ان الاسلام قد أدى رسالته وانتهى .. ؟

ان عدد المسلمين اليوم يربو على ستمائة مليون نسمة ، ولا يدخل ضمن هذا العدد كثير من الأقليات الإسلامية في القاطن التي لم تفسح الى عصر دقيق حتى اليوم ، او لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص .

وهذا العدد الضخم من البشر الذي يتخذ في العقيدة وفي الهدف والغاية . ولا يوجد له نظير في العالم على الإطلاق ، يتميز عن غيره بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ، لدول العالم الاسلامي تتجمع في بقعة مستقبلية — تمتد دون هواجز ، او فواصل — من أواسط آسيا الى المحيط الأطلسي ، ومن روسيا في الشمال الى المحيط الهندي ، وأما في أفريقيا فيتنفسهم هم الكتلة ، تحدها شمالا الى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوبا الى ما وراء خط الاستواء .

اثر الوضع الجغرافي في انتشار الاسلام :

نوضح المسلمين الجغرافي هو الذي مكن لهم — ولا يزال يمكن لهم — من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات المختلفة ، لينقلون منهم — بسر وسهولة — مبادئهم من مبادئهم ، وينقلون اليهم ما يؤمنون به من عقيدة ودين ، فنقلوا ذاتنا داعية وقلوبها متفتحة ، وهكذا انتشر الاسلام في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، على ايدي الأفراد وبجهود الدعاة .

فالرد المسلم في أي بقعة من يقاع الأرض يشعر بأنه داعية الى الله يعرف الناس بالاسلام وينقل اليهم تعاليمه ، ويبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشعرونه طيفته في القيام بالخدمة والبلاغ ، وهذا التعريف والتبليغ — في نظره — فرض عليه ينبغي ان يؤديه في كل الأحوال ،



اعداد : الاستاذ عبد المعطي بيومي

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الخامس التكميلي للفصل التشريعي الثاني لمجلس الأمة ثم القى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء في الجلسة الافتتاحية خطاباً جامعاً أوضح فيه سياسة الكويت تجاه القضايا المحلية والعالمية .

● صرح معالي وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ان الكويت تعمل لتسوية الخلاف في وجهات النظر بين امارات الخليج .

● أعلن معالي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية أن الوزارة ستُرسل بعض الوعاظ مع بعثة الحج هذا العام وقال أن الوزارة عرفت من اعداد مدينة للحجاج المارين بالكويت وستكون معدة اعتباراً من هذا العام .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرة آلاف دولار لمساعدة مؤسسة الأيتام الإسلامية في تايلاند وقد سبق للكويت مساعدة هذه الجمعية بمبلغ ستين ألف دولار .

● زار سماحة مفتي لبنان البلاد ، وأعلن السيد عبد الرحمن المحجم وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية أن زيارة سماحته تهدف الى توطيد سبل التعاون الإسلامي بين البلدين من تبادل العلماء والخبرات الدينية وكل ما يتعلق بأى نشاط اعلامي ديني .

● تبرعت الكويت بمبلغ (١٧٥) ألف دولار للصندوق الخاص للأمم المتحدة و ١٥٠ ألف دولار لبرنامج المساعدة التقنية التابع للمنظمة الدولية .

● يعقد في الكويت استبوع التربية الثالث خلال الفترة ما بين ١٩ - ١٢/٢٤ ويهدف الى تنشئة التلاميذ تنشئة دينية واتاحة كل الوسائل لتوعيته توعية كاملة .

● احيا شهر رمضان المبارك بتلاوة القرآن الكريم والوعظ والارشاد عدد من كبار العلماء والقراء الذين استضافتهم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

القاهرة : اقيم في القاهرة يوم ٥ من الشهر الماضي مؤتمر كبير في ذكرى الأربعين لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر وقد تحدث في هذا المؤتمر رئيسا ليبيا والسودان ومندوبون عن الكويت والأردن وبعض الدول ..

● تم الاتفاق بين المتحدة وزعمي مسلمي داهومي وتشاد على أن تبعث القاهرة الى المسلمين في البلدين مكنتات اسلامية ونسخا من المصاحف والمصاحف المرتلة واسطوانات الوضوء والصلاة .

● عقد في القاهرة في الشهر الماضي مؤتمر قمة ثلاثي بين رؤساء المتحدة وليبيا والسودان وقد علم ان اجتماعاتهم تهدف الى وضع اصول للتنسيق الكامل بين البلدان الثلاثة .

● اعد الاتحاد العام لتحفيظ القرآن ثلاثة آلاف جائزة وكاسا باسم الرئيس عبد الناصر لمن يفوز في مسابقة حفظ القرآن التي تجرى يوم الاسراء والمعراج في العام القادم .

الاردن : يقوم السيد الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا لمراقبة اتفاقية القاهرة بجولة في بعض الدول العربية لاطلاعها على الوضع في الاردن .

● ابنت المتحدة والسعودية ولبنان مساعدتها للاردن في ازالة الانقاض الهائلة المتخلفة عن الحرب التي دارت بين الجيش والفدائيين .

● شكل الملك حسين حكومة جديدة في الشهر الماضي برئاسة وصفي التل وقد اعلن رئيس الوزراء انه يعمل على — تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان .

لبنان : قام فضيلة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية بزيارة الكويت في الشهر الماضي بدعوة من معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية اصدر مكتب مؤتمر العالم الاسلامي في بيروت في الشهر الماضي عدة محاضرات عن حقوق الشعب الفلسطيني واطماع اسرائيل في القدس والخطر الناجم عن تحويلها .

الصومال : في ذكرى ثورة الصومال في الشهر الماضي اعلن رئيس مجلس الثورة ان الثورة تعمل على تحقيق امانى شعب الصومال .

تونس : اجتمع المكتب التونسي لبناء الجمهورية في دورته الخامسة لتنظيم جهود الشباب والعمل على تنظيم هذه الجهود بين اقطار المغرب العربي في مجالات القرية وغيرها .

المغرب : فرضت حكومة المغرب ضريبة خاصة توجه لمساعدة الشعب الفلسطيني .

● قام وفد اقتصادي جزائري بزيارة المغرب لتوقيع اتفاقية حول اقامة علاقات مباشرة بين الدولتين تشرف على المصاريف في خزنتي الدولتين .

ايران : ذكرت احصائيات رسمية ان عدد سكان ايران بلغ ٢٨٠٠٠٠٠٠ نسمة .

باكستان : تلقى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من السيد ابو الاعلى المودودي خطابا يؤكد له فيه ان الجماعة الاسلامية في باكستان تنظر بالتقدير الى فتح وانها جمعت لها بعض التبرعات وعلى استعداد مواصلة التعاون معها .

طشقند : حث المؤتمر الاسلامي الذي عقد في طشقند في الاونة الاخيرة على الكفاح في مواجهة الاستعمار والظلم والعمل على حرية الشعوب وتقرير المصير للشعوب المضطهدة .

ماليزيا : اعلن تنكو عبد الرحمن سكرتير عام امانة الدول الاسلامية ان وجود كتلة اسلامية بين الكتلتين الشرقية والغربية من شأنه ان يحافظ على السلام العالي ويضع المسلمين في مسار التقدم في العالم .

● اعلن في كوالا لا مبور ان احدى عشرة دولة اسلامية اشتركت في المسابقة الدولية لقراءة القرآن التي اقيمت في ١٧ نوفمبر الماضي .

اندونيسيا : ثبت من فحص دقيق ان المرأة التي ادعت انها تحمل جنينا يكلم الناس ويقرأ القرآن انها تخفي مسجلا سجلت عليه آيات من القرآن وكلمات معينة .

● اتخذ المؤتمر الاسلامي الافريقي الاسيوي الذي انعقد في باندونج اخيرا عدة قرارات هامة تمس التعاون الاسلامي الدولي وانشاء بنك اسلامي ومنظمة دولية اسلامية ورعاية الاقليات الاسلامية في العالم .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورفقة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعلموا راسا مع متعدد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

حضر موت : مكتبة الشعب — ص.ب (٢٨) المكلا .

دبي : مكتبة دار الحياة ص.ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب — ص.ب (١٣٢) — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب (٢٨٠) — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع شهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاطداد السابقة من المجلة

اقراء في هذا العدد

- حديث الشهر لدير ادارة الدعوة والارشاد ٤
- من هدى السنة (الدعوة الى الله) د. على عبد المنعم عبد الحميد ٨
- الحج د. محمد البهي ١٢
- من آيات الوجود (قصيدة) للأستاذ الربيع الغزالي ٢٢
- الفطرة والكون للأستاذ البهي الخولي ٢٤
- فلينظر الانسان مم خلق للدكتور محمد سلام مذكور ٢٥
- نشأة الفقه الاسلامي للشيخ مناع قطان ٤٠
- مميزات المساواة الاسلامية للأستاذ الغزالي حرب ٥٠
- آراء لرشيد رضا د. أحمد الشرباصي ٦١
- سائقك يا بني ٦٨
- أبو حنيفة د. محمد محمد أبو شهبة ٧٠
- المائدة ٧٦
- رحلة الى سيراليون للأستاذ سليمان عطا ٧٨
- الفتاوى العالمية للأستاذ أنور أحمد قادري ٨٧
- مخاوف ابليس (القصة) للأستاذ محمد ليبب البوهي ٩٦
- ركن الموسوعة تقية إدارة الموسوعة ١٠١
- الفتاوى التحرير ١٠٤
- باقلام القراء التحرير ١٠٦
- بريد السوعي التحرير ١٠٨
- قالت الصحف التحرير ١١١
- الأخبار اعداد الأستاذ عبد المعطي بيومي ١١٢